إدارة مساجد محافظة مبارك الكبير
المراقبة الثقافية

دورة الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه العلمية ٩

في مسجد صالح الكندري في ضاحية صباح السالم قطعة ١

في الفترة من الأربعاء ٥ ذي القعدة إلى الأربعاء ١٢ ذي القعدة ١٤٣٤هـ

الموافق ١١ - ١٨ / ٩ /٢٠١٣م

شرح كتاب الحج من بلوغ المرام
(للحافظ ابن حجر)

الشيخ

أ. د. سليمان الرحيلي

شرح أصول السنة
(للإمام أحمد بن حنبل)

الشيخ

أ. د. صالح السحيمي

شرح رسالة في ذم التعصب
(لشيخ الإسلام ابن تيمية)

الشيخ

أ. د. سليمان الرحيلي

شرح حديث (ما ذئبان جائعان)
(لابن رجب الحنبلي)

الشيخ

أ. د. صالح السحيمي

دورة الخليفة الراشد
Ibnabitalib
+965 99494122
+965 55951115
+965 55999986
@Dwrtali
Dwrtali
ibnabitalib1@gmail.com
www.ibnabitalib.com

دورة الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه العلمية

دورة الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه العلمية

اسم الشيـــخ : .....

موعد الدرس : .....

بدايـة الدرس: / / ١٤هـ - الموافق: / / ٢٠م

نهـاية الدرس: / / ١٤هـ - الموافق: / / ٢٠م

زمـــن الدرس : .....

مكـان الدرس : .....

بيانات خاصة

الاســــــم : .....

رقم الهاتــف : .....

العنـــــوان : .....

.....

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمـد لله رب العالمين، وصلى الله وسـلم وبارك علـى المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه الدورة التاسعة.

دورة الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه العلمية وكم أسعدني وأسعد كل من عرف وتابع استمرار هذه الدورة وما اشتملت عليه من حسن اختيار الكتب التي يتم شرحها، وأيضا مستوى المدرسين المختصين الذين تتم استضافتهم؛ وهم بحق من خيرة العلماء والمشايخ ممن عُرف بالسُّنة والإستقامة- أحسب أنهم على خير كبير- والله حسيبهم ولا أزكي أحداً على الله من خلقه-.

لذا أوصي طلبة العلم بالحرص على المشاركة في هذه الدورات العلمية والإستفادة منها؛ فهي فرصة قد لا تتعوض.

ولا شك أنَّ طلب العلم من أعظم القُربات إلى الله وأفضلها إذا خَلُصَت النيّة، لا سـيما إذا عمَّ الجهلُ، وقَلَّ العلماء، وانتشـرت البدعُ، واتّبع الناسُ أهواءهـم، وكثُرت الفتنُ، واختلط الحقُ بالباطـلِ، والحابلُ بالنابلِ، والزين بالشين، ومرجت عقولُ الناس، ولـم يبق ما يعصمهم من الزلل إلا البصيرة في الدين بتوفيق من رب العالمين.

ومـن البشـائر النبويّة الكريمة مـا رواه أبو داود في سـننه، والترمذي في جامعه عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقـاً يبتغي فيه علماً، سـلك الله لـه طريقاً إلى الجنـة، وإنَّ الملائكة لتضعُ أجنحتها لطالبِ العلم، وإنَّ العالمَ ليسـتغفرَ له مَنْ في السـماوات ومَنْ في الأرض، حتى الحيتانَ في الماء. وفضلُ العالِم على العابد كفضلِ القمرِ على سائرِ الكواكب، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وإنَّ الأنبياءَ لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورَّثوا العلمَ، فمن أخذَ به أخذَ بحظٍ وافرٍ**».

والمسـلمُ يطلـب العلـمَ ويتواضع له مسـتمراً به حتى يأتيـه أجله، وعليه بالتـأدبِ مـع من يعلمـه، ويحترم أهلَ العلـم ويجلّهم ويتخلّـق بأخلاقهم مستفيداً من كل حرفٍ يسمعه، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وصفة العلم منسـوبة إلى أحد أسـماء الله الحسـنى (العليم)، وقد مدحَ اللـه الذين يعلمون فقال عز وجـل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:٩].

فأوصي نفسـي وكل من وقف على كلامي أن يحرص على طلب العلم مع الإخلاص لوجه الله تعالى.

وجزى الله خيراً الإخوة الكرام القائمين على دورة الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ العلمية، وأسأل الله لهم مزيداً من التوفيق والسداد.

كتبه/ سالم بن سعد الطويل

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

كتاب الحج
من بلـوغ الـمرام

للحافظ

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

رحمه الله

(٧٣٣هـ - ٨٥٢هـ)

كتاب الحج

باب فضله، وبيان من فرض عليه

٧٠٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**». متفق عليه.

٧٠٩- وعن عائشة g قالت: (قُلت: يا رسول اللّه ! على النساء جهاد ؟) قال: «**نعم. عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج، والعمرة** ».

رواه أحمد، وابن ماجه واللفظ له، وإسناده صحيح.

- وأصله في الصحيح.

٧١٠- وعن جابر بن عبد اللّه رضي الله عنهما قال: (أتى النبيَّ ﷺ أعرابيٌ فقال: يا رسول اللّه ! أخبرني عن العُمرة، أواجبة هي؟) فقال: «**لا. وأن تعتمر خير لك** ». رواه أحمد، والترمذي، والراجح وقفه.

- وأخرجه ابن عدي من وجه آخر ضعيف.

٧١١- عن جابر مرفوعا: «**الحج والعمرة فريضتان**».

٧١٢- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (قيل: يا رسول اللّه ما السبيل ؟) قال: «**الزاد والراحلة**». رواه الدارقطني، وصححه الحاكم، والراجح إرساله.

٧١٣- وأخرجه الترمذي: من حديث ابن عمر أيضاً، وفي إسناده ضعف.

٧١٤- وعـن ابن عباس رضي الله عنهما ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم لقـي ركباً بالروحاء، فقال: «**من القوم؟**». قالوا: المسـلمون. فقالوا: من أنت؟ قال: «**رسـول اللّـه**» فرفعت إليـه إمرأة صبياً. فقالـت: ألهذا حجٌ؟ قـال: «**نعم. ولك أجرٌ**». رواه مسلم.

٧١٥- وعنه قال: كان الفضل بن عباس رديف رسول اللّه ﷺ، فجاءت امرأةٌ من خَثْعَمَ، فجعل الفضل ينظرُ إليها وتنظرُ إليه، وجعل النّبيُّ ﷺ يصرفُ وجه الفضل إلى الشَّق الآخر. فقالت: (يا رسول اللّه! إنَّ فريضة اللّه على عبادِهِ في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً، لا يثبتُ على الرَّاحلة، أفأحجُّ عنه؟) قال: «**نعم**». وذلك في حجَّة الوداع.

متفق عليه، واللفظ للبخاري.

٧١٦- وعنه: أن امرأةً من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: (إنّ أُمـي نذرت أن تحج، فلم تحج حتى ماتـت، أفأحج عنها؟) قال: «**نعم. حُجِّي عنها، أرأيتِ لو كان على أمك دين، أكنت قاضيته؟ اقضوا اللّه؛ فاللّه أحق بالوفاء**». رواه البخاري.

٧١٧- وعنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**أيُّما صبيٍ حج، ثمّ بلغ الحِنْثَ، فعليه أن يحج حجة أخرى، وأيّما عبدٍ حج، ثم أعتق، فعليه أن يحج حجة أخرى**». رواه ابن أبي شيبة، والبيهقي، ورجاله ثقات، إلاّ أنه اختلف في رفعه، والمحفوظ أنه موقوف.

٧١٨- وعنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يخطُبُ، يقول: «**لا يَخْلُوَنَّ رجل بامرأة إلاَّ ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلاّ مع ذي محرم**». فقام رجلٌ فقال: (يا رسول اللّه! إنَّ امرأتي خرجتْ حاجةً، وإنّي اكتُتبتُ في غزوة كذا وكذا)، قالَ: «**انطلقْ، فحجَ مع امرأتكِ**». متفق عليه، واللفظ لمسلم.

٧١٩- وعنه؛ أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: (لبَّيك عن شُبرمة). قال: «**من شبرمة؟**». قال: (أخ لي، أو قريب لي). قال: «**حججت عن نفسكَ؟**». قالَ: لا. قال: «**حُجَّ عن نفسك، ثم حج عن شُبرمة**».

رواهُ أبو داود، وابن ماجه، وصححه ابن حبان، والراجح عند أحمد وقفه.

٧٢٠- وعنه قال: خطبنا رسول اللّه ﷺ فقال: «**إن اللّه كتَبَ عليكم الحج**». فقام الأقرع بن حابس فقال: (أفي كلِّ عام يا رسول اللّه؟) قال: «**لـو قلتُها لوجبـت، الحج مرة، فما زاد فهو تطوع**». رواه الخمسـة غير الترمذي.

٧٢١- وأصله في مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٢- باب المواقيتِ

٧٢٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما ؛ أنّ النبي ﷺ وقَّت لأهل المدينة: ذا الحليفة، ولأهل الشام: الجُحْفة، ولأهل نجد: قرن المنازل، ولأهلِ اليمنِ: يلملم. هن لهن ولمن أتى عليهن من غيرهنَّ ممّن أراد الحج والعُمرة، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ، حتى أهل مكة من مكة. متفق عليه.

٧٢٣- وعـن عائشـة g ؛ أنّ النبـي ﷺ وقَّـت لأهل العـراق ذات عـرقٍ. رواهُ أبو داود، والنّسائي.

٧٢٤- وأصلهُ عند مسلمٍ: من حديث جابر، إلاّ أنَّ راويهُ شكَّ في رَفعِهِ.

٧٢٥- وفي البخاريِّ؛ أنّ عمر هو الذي وقّت ذات عرقٍ.

٧٢٦- وعندَ أحمد، وأبي داود، والتِّرمذيِّ: عن ابن عبّاسٍ؛ أنَّ النّبيَّ ﷺ وقّتَ لأهلِ المشرقِ: العقيقَ.

٣- بابُ وجوهِ الإحرام وصفتِهِ

٧٢٧- عن عائشة g قالت: خرجنا مع رسول اللّه ﷺ عام حجّةِ الوداع، فمنَّا من أهلَّ بعمرة، ومنا من أهل بحج وعُمرة، ومنا من أَهَلَّ بحج، وأهل رسول اللّه ﷺ بالحج، فأما من أهل بعمرةٍ فحل، وأمّا من أهل بحج، أو جمع الحج والعمرة فلم يحلوا حتى كان يوم النَّحر. متفق عليه.

٤- باب الإحرام وما يتعلق به

٧٢٨- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (ما أهل رسول اللّه ﷺ إلا من عند المسجد). متفق عليه.

٧٢٩- وعن خلاد بن السائب، عن أبيه رضي الله عنه؛ أن رسول اللّه ﷺ قال: «**أتاني جبريل، فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال**».

رواه الخمسة، وصححه الترمذي، وابن حبان.

٧٣٠- وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم تجرد لإهلاله واغتسل.

رواه الترمذي وحسنه.

٧٣١- وعن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم سئل: (ما يلبس المحرم من الثياب ؟) فقال: «**لا تلبسوا القمص، ولا العمائم ولا السراويلات، ولا البرانس، ولا الخفاف، إلا أحد لا يجد النعلين فليلبس الخفين، وليقطعهما أسفل من الكعبين، ولا تلبسوا شيئا من الثياب مسه الزعفران ولا الورس**». متفق عليه، واللفظ لمسلم.

٧٣٢- وعن عائشة g قالت: (كنت أطيب رسول اللّه ﷺ لإحرامه قبل أن يُحرم، ولحله قبل أن يطوف بالبيت) متفق عليه.

٧٣٣- وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ أن رسول اللّه ﷺ قال: «**لا يَنْكِح المحرم، ولا يُنْكَح، ولا يخطب**»، رواه مسلم.

٧٣٤- وعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه - في قصّة صَيْدِهِ الحمارَ الوحشيِّ، وهو غيرُ محرم - قال: فقال رسول اللّه ﷺ لأصحابِهِ، وكانوا محرمين: «**هل منكم أحدٌ أمرَهُ أو أشارَ إليهِ بشيءٍ؟**». قالوا: لا. قال: «**فكُلُوا ما بقي من لحمِهِ**». متَّفقٌ عليه.

٧٣٥- وعن الصَّعب بن جثَّامة اللّيثيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنّهُ أهدى لرسول اللّه ﷺ حماراً وحشيّاً، وهو بالأبواءِ، أو بوَدَّانِ. فردَّهُ عليه، وقال: «**إنّا لم نردَّهُ عليكَ إلا أنّا حرمٌ**». متّفق عليه.

٦٣٦- وعن عائشة g قالت: قال رسول اللّه ﷺ: «**خمسٌ من الدّاوبِّ كلُّهُنَّ فاسق، يُقتلن في الحرم: الغُراب، والحِدَأَةُ، والعقربُ، والفأرةُ، والكلْبُ العقُورُ**». متَّفق عليه.

٧٣٧- وعـن ابن عبّـاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ؛ أنَّ النَّبيَّ ﷺ احتَجَمَ وهُوَ محرِمٌ.

متّفق عليه.

٧٣٨- وعـن كعب بن عُجْـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (حُملتُ إلى رسـول اللّه ﷺ والقمـلُ يتناثرُ على وجهي)، فقال: « **ما كنت أُرى الوجعَ بلغَ بك ما أرى، تجدُ شـاةً؟** ». قلـتُ: لا. قال: «**فَصُمْ ثلاثة أيَّامٍ، أو أطعمْ سِـتَّةَ مساكين؛ لكلِّ مسكينٍ نِصفُ صاعٍ**». متّفق عليه.

٧٣٩- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما فتحَ اللّه على رسوله مكة، قام رسول اللّه ﷺ في النّاس، فحمدَ اللّه وأثنى عليه، ثمَّ قال: «**إنَّ اللّه حبس عن مكّة الفيل، وسلّط عليها رسولهُ والمؤمنين، وإنّها لمْ تحلَّ لأحد كان قبلي، وإنّما أُحلّت لي ساعةً من نهارٍ، وإنّها لن تحِلَّ لأحد بعدي، فلا يُنفَّر صيدُها، ولا يُختلى شوكُها، ولا تحلُ ساقطتها إلاّ لمنشدٍ، ومن قُتل له قتيلٌ فهو بخير النظرين**». فقال العبَّاسُ: إلاّ الإذخر يا رسول اللّه؛ فإنَّا نجعله في قُبورنا وبيوتنا، فقال: «**إلاّ الإذخرَ**». مُتّفق عليه.

٧٤٠- وعن عبد اللّه بن زيد بن عاصم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنّ رسول اللّه ﷺ قال: «**إنّ إبراهيم حرَّم مكةَ، ودعا لأهلها، وإنّى حرَّمتُ المدينة كما حرّم إبراهيم مكّة، وإنّي دعوتُ في صاعِها ومدِّها بَمِثْلَيْ ما دعا إبراهيم لأهل مكَّةَ**». مُتّفق عليه.

٧٤١- وعن عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**المدينة حرمٌ ما بين عيرٍ إلى ثورٍ**». رواه مسلمٌ.

٥- بابُ صفةِ الحج، ودخولِ مكَّةَ

٧٤٢- عن جابر بن عبد اللّه رضي الله عنهما، أنّ رسول اللّه ﷺ حجَّ، فخرجنا معهُ، حتّى أتينا ذا الحليفةِ، فولدت أسماء بنتُ عُميسٍ، فقال: «**اغتسلي، واستَثْفِري بثوبٍ، وأحرمي**».

وصلّى رسولُ اللّه ﷺ في المسجد، ثمّ ركب القصواء، حتّى إذا استوت به على البيداء أهلَّ بالتّوحيد: «**لبيك اللّهم لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمد والنّعمة لك والملك، لا شريك لك**».

حتّى إذا أتينا البيت استلمَ الرُّكْنَ، فرملَ ثلاثاً ومشى أربعاً، ثمَّ أتى مقام إبراهيم فصلَّى، ثمَّ رجعَ إلى الرُّكْنِ فاستلمهُ.

ثمّ خرجَ من الباب إلى الصفا، فلمَّا دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، «**أبدأُ بما بدأَ اللّهُ به**»، فرقيَ الصّفا حتّى رأى البيتَ، فاستقبلَ القبلة، فوحَّدَ اللّه، وكبَّرهُ، وقال: «**لا إله إلا اللّه وحدهُ لا شريك له، له الملكُ، وله الحمدُ، وهوعلى كلِّ شيءٍ قديرٌ، لا إله إلاّ اللّه وحده أنجزَ وعدهُ، ونصر عبدهُ، وهزمَ الأحزابَ وحدهُ**».

ثم دعا بين ذلك ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة، حتى انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا صعدتا مشى إلى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا... فذكر الحديث. وفيه:

فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى، وركب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فصلى بها الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والفجر، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس.

فأجاز حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها.

حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء، فرُحِّلت له، فأتى بطن الوادي، فخطب الناس.

ثم أَذَّنَ، ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يُصَلِّ بينهما شيئاً.

ثم ركب حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وَجَعل حَبْل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة، فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص، ودفع، وقد شنق للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله، ويقول بيده اليمنى: «**أيها الناس! السكينة السكينة**»، كلما أتى حَبلاً أرخى لها قليلاً، حتى تصعد.

حتى أتى المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء، بأذان واحد وإقامتين، ولم يسبح بينهما شيئاً، ثم اضطجع حتى طلع الفجر، فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة.

ثم ركب حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعاهُ وكبّره، وهلّله، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جدّاً.

فدفع قبل أن تطلع الشمس حتى أتى بطن محسر، فحرَّك قليلاً.

ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة، فرماها بسبع حصيات، يكبّر مع كل حصاة منها، مثل حصى الخذف، رمى من بطن الوادي.

ثم انصرف إلى المنحر، فنحر.

ثم ركب رسول اللّه ﷺ، فأفاض إلى البيت، فصلى بمكة الظهر. رواه مسلم مطولاً.

٧٤٣- وعن خزيمة بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من تلبيته في حج أو عُمرة سأل اللّه رضوانه والجنة، واستعاذ برحمته من النار. رواه الشافعي بإسناد ضعيف.

٧٤٤- وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللّه ﷺ: « **نحرتُ هاهُنا، ومنى كلها منحر، فانحروا في رحالكم، ووقفت هاهُنا، وعرفة كلها موقف، ووقفت هاهنا وجمع كلها موقف**». رواه مسلم.

٧٤٥- وعـن عائشـة g ؛ أن النبـي ﷺ لما جاء إلـى مكة دخلها من أعلاها، وخرج من أسفلها. متفق عليه.

٧٤٦- وعـن ابـن عمر رضي الله عنهما ؛ أنه كان لا يقدم مكـة إلاّ بات بذي طوى حتى يُصبح، ويغتسل، ويذكر ذلك عن النبي ﷺ. مُتّفق عليه.

٧٤٧- وعن ابن عباس رضي الله عنهما ؛ أنه كان يُقبل الحجر الأسود، ويسجد عليه. رواه الحاكم مرفوعاً، والبيهقي موقوفاً.

٧٤٨- وعنه قال: (أمرهم النبي ﷺ أن يرملوا ثلاثة أشواط ويمشوا أربعاً، مابين الركنين). مُتّفق عليه.

٧٤٩- وعنه قال: (لم أرَ رسول اللّه ﷺ يستلم من البيت غير الركنين اليمانيين). رواه مسلم.

٧٥٠- وعن عمر رضي الله عنه؛ أنه قبل الحجر الأسود فقال: (إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول اللّه ﷺ يُقبلك ما قبلتك). مُتّفق عليه.

٧٥١- وعن أبي الطفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (رأيت رسول اللّه ﷺ يطوف بالبيت ويستلم الركن بمحجن معه، ويقبل المحجن). رواه مسلم.

٧٥٢- وعن يعلى بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (طاف النبي ﷺ مضطبعاً ببردٍ أخضر). رواه الخمسة إلا النسائي، وصححه الترمذي.

٧٥٣- وعن أنس رضي الله عنه قال: (كان يُهل منا المُهل فلا ينكر عليه، ويكبّر منا المكبر فلا ينكر عليه). متفق عليه.

٧٥٤- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بعثني رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في الثّقل - أو قال: في الضّعفة - من جمع بليل).

٧٥٥- وعن عائشة g قالت: استأذنتْ سودة رسول اللّه ﷺ ليلة المزدلفة: أن تدفع قبله، وكانت ثَبِطَة - تعني: ثقيلة - فأذن لها. مُتّفق عليهما.

٧٥٦- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لنا رسول اللّه ﷺ: «**لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس**». رواه الخمسة إلا النسائي، وفيه انقطاع.

٧٥٧- وعن عائشة g قالت: (أرسل النبي ﷺ بأمُ سلمة ليلة النحر، فرمت الجمرة قبل الفجر، ثم مضت فأفاضت).

رواه أبو داود، وإسناده على شرط مسلم.

٧٥٨- وعن عروة بن مضرس رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**من شهد صلاتنا هذه** - يعني: بالمزدلفة - **فوقف معنا حتى ندفع، وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلاً أو نهاراً، فقد تم حجه، وقضى تفثهُ**». رواه الخمسة، وصححه الترمذي، وابن خزيمة.

٧٥٩- وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن المشركين كانوا لا يُفيضون حتى تطلع الشمس. ويقولون: أشرق ثبيرُ. وأن النبي ﷺ خالفهم، ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس. رواه البخاري.

٧٦٠ و ٧٦١ - وعن ابن عباس. وأسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قالا: لم يزل النبي ﷺ يُلبي حتى رمى جمرة العقبة. رواه البخاري.

٧٦٢- وعن عبداللّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنه جعل البيت عن يساره، ومنى عن يمينه، ورمى الجمرة بسبع حصيات، وقال: (هذا مقام الذي أُنزلت عليه سورة البقرة). مُتّفق عليه.

٧٦٣- وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (رمى رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجمرة يوم النحر ضحى، وأما بعد ذلك فإذا زالت الشمس). رواه مسلم.

٧٦٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أنه كان يرمي الجمرة الدنيا بسبع حصيات، يكبّر على إثر كل حصاة، ثم يتقدم، ثم يسهل، فيقوم فيستقبل القبلة، فيقوم طويلاً، ويدعو ويرفع يديه، ثم يرمي الوسطى، ثم يأخذ ذات الشمال فيسهل، ويقوم مستقبل القبلة، ثم يدعوا فيرفع يديه ويقوم طويلاً، ثم يرمي جمرة ذات العقبة من بطن الوادي، ولا يقف عندها، ثم ينصرف، فيقول: (هكذا رأيت رسول اللّه ﷺ يفعله). رواه البخاري.

٧٦٥- وعنه؛ أن رسول اللّه ﷺ قال: «**اللّهم أرحم المحلقين**». قالوا: والمقصرين يا رسول اللّه. قال في الثالثة: «**والمقصرين**». مُتّفق عليه.

٧٦٦- وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما؛ أنَّ رسول اللّه ﷺ وقف في حجَّةِ الوداع، فجعلوا يسألونهُ، فقال رجلٌ: لم أشعر، فحلقْتُ قبل أن أذبح؟ قال: «**اذبح. ولا حرجَ**». فجاء آخر فقال: لمْ أشعرْ، فنحرتُ قبل أن أرمي؟ قال: «**ارْم ولا حرجَ**». فما سُئل يومئذ عن شيءٍ قُدِّمَ ولا أُخّر إلاّ قال: «**افعل. ولا حرجَ**». مُتّفق عليه.

٧٦٧- وعن المسور بن مخرمةَ رضي الله عنهما ؛ أنَّ رسول اللّه ﷺ نحرَ قبلَ أن يحلِقَ، وأمر أصحابهُ بذلك. رواه البخاريُّ.

٧٦٨- وعن عائشة g قالت: قال رسول اللّه ﷺ: «**إذا رميْتُم وحلقْتُم فقدْ حلَّ لكم الطيبُ وكلُّ شيءٍ إلاّ النساء**». رواهُ أحمدُ، وأبو داود، وفي إسناده ضعفٌ.

٧٦٩- وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبيّ ﷺ قال: «**ليس على النساء حلقٌ، وإنَّما يُقصِّرْن**». رواه أبو داود بإسناد حسنٍ.

٧٧٠- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ؛ أنّ العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استأذن رسول اللّه ﷺ أن يبيتَ بمكَّةَ ليالي مِنىً؛ من أجل سقايتهِ، فأذن له. مُتّفق عليه.

٧٧١- وعن عاصم بن عديّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن رسول اللّه ﷺ أرخص لرعاة الإبل في البيتوتةِ عن مِنىً، يرمونَ يوم النَّحر، ثمَّ يرمونَ الغدَ ومن بعد الغد ليومين، ثمَّ يرمون يوم النَّفر. رواهُ الخمسةُ، وصحَّحه الترمذي، وابن حبَّانَ.

٧٧٢- وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (خطبنا رسولُ اللّه ﷺ يومَ النَّحرِ ...) الحديث .مُتّفق عليه.

٧٧٣- وعن سرّاء بنت نبهان g قالت: خطبنا رسولُ اللّه ﷺ يوم الرُّؤوس فقال: «**أليس هذا أوسطَ أَيّام التشريق؟** ...» الحديث. رواه أبو داود بإسنادٍ حسنٍ.

٧٧٤- وعن عائشة g ؛ أنّ النبي ﷺ قال لها: «**طوافك بالبيت وبين الصفا والمروة يكفيك لحجِّك وعُمرتك**». رواه مسلمٌ.

٧٧٥- وعن ابن عباس رضي الله عنهما ؛ أن النبي ﷺ لم يرمل في السبع الذي أفاض فيه. رواه الخمسة إلاّ الترمذي، وصحَّحه الحاكمُ.

٧٧٦- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنّ النبي ﷺ صلَّى الظُّهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، ثمَّ رقدَ رقدةً بالمُحصَّب، ثمَّ ركبَ إلى البيتِ فطافَ بهِ. رواه البخاريُّ.

٧٧٧- وعن عائشة g ؛ أنّها لم تكن تفعل ذلك -أي: النُّزول بالأبطح - وتقول: (إنّما نزلهُ رسولُ اللّه ﷺ؛ لأنّه كان منزلاً أسمحَ لخروجهِ). رواه مسلمٌ.

٧٧٨- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أُمرَ النّاسُ أن يكون آخرُ عهدهم بالبيت، إلاّ أنّهُ خُفّف عن الحائض). مُتّفق عليه.

٧٧٩- وعن ابن الزُّبير رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم: «**صلاةٌ في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاةٍ فيما سواهُ إلاَّ المسجد الحرامَ، وصلاةٌ في المسجدِ الحرام أفضلُ من صلاةٍ في مسجدي هذا بمائةِ صلاة**». رواهُ أحمدُ، وصحّحه ابن حبّان.

٦- بابُ الفوات والإحصار

٧٨٠- عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: (قد أحصر رسولُ اللّه ﷺ فحلقَ، وجامعَ نساءَهُ، ونحرَ هديهُ، حتَّى اعتمَرَ عاماً قابلاً). رواهُ البخاريُّ.

٧٨١- وعن عائشة g قالت: (دخل النّبيُّ ﷺ على ضُباعةَ بنتِ الزُّبير بن عبد المطلب رضي الله عنهما ، فقالت: يا رسول اللّه! إنّي أريدُ الحجَّ، وأنا شاكيةٌ). فقال النّبيُّ ﷺ: «**حُجّي، واشترطي: أنْ مَحِلِّي حيثُ حبستني**». متّفق عليه.

٧٨٢- وعـن عكرمة، عن الحجّاج بن عمـرو الأنصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قـال رسـولُ اللّـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من كُسـرَ، أو عَرِجَ فقـدْ حلَّ، وعليـهِ الحجُّ من قابل**».

قال عكرمةُ: (فسألتُ ابن عبّاس وأبا هريرة عن ذلك؟)

فقالا: (صدق). رواهُ الخمسة، وحسَّنَهُ الترمذي.

رسالة في
ذم التعصب

لشيخ الإسلام

أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني

رحمه الله

(٦٦١ هـ - ٧٢٨هـ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ترجمة الشيخ د. سليمان الرحيلي[١]

قال الشيخ مترجِما لنفسه[٢]:

أنا سليمان بن سليم الله بن رجاء الله بن بُطِي الرحيلي، من قبيلة حرب.

ولدت ونشأت ولا زلت وأسأل الله أن أموت في المدينة.

أول ما تلقيت العلم - قبل الدراسة النظامية - في مسجد النبي ﷺ، فحضرت بعض مجالس الشيخ الأمين وأنا دون السادسة من العمر، وحضرت بعض مجالس الشيخ عمر فلاتة، ومجالس الشيخ أبي بكر الجزائري حفظه اللّه، وهذه قد جلست فيها كثيرًا، وحضرتُ بعض مجالس الشيخ الألباني عندما كان يقدُم إلى المدينة، وبعض مجالس الشيخ ابن باز في الرياض وفي المدينة، وبعض مجالس الشيخ ابن عثيمين العامة والخاصة التي كان يعقدها في المدينة.

وهذا يعود إلى أن الوالد - حفظه الله وختم لنا وله بالخير - قد حبب إليه مجالس أهل العلم منذ عرف المدينة، وحضر مجالس المشايخ: الشيخ الأمين، والشيخ الإفريقي، حتى إن الشيخ عمر فلاتة كان يقول لي: «إن والدك زميلي، كنا نجلس بجوار بعضنا في حلقة

(١) ضيف هذه الدورة.

(٢) من شريط «الدرر العتيقة في جلسة العقيقة» بتصرف.

الشـيخ الإفريقي»، وحضر أيضا مجـالس الشـيـخ ابن بـاز، وذكر لي أنه كره مجلسـاً لشـخص ما ؛ لأنه كان يبسـط يده ليقبِّلها الناس، وكان يأخذني إلى المجالس، وأنا دون السادسة.

ثم وأنا في السادسـة التحقت بمسـجد في الحي لتحفيظ القرآن على يد أحد المشـايخ من قبيلتنا، اسمه: عتيق بن جابر الرحيلي، في مدرسة كان يرعاهـا فضيلة الشـيخ راشـد بن عاتـق الرحيلـي ،- رحمهم الله جميعا - ، وأتممت حفظ القرآن قبل العاشرة بحمد الله.

درسـت الدراسـة النظامية ، وتخرجت من الإبتدائية ، فأصرَّ والدي على أن ألتحق بالجامعة الإسـلامية، بالمعهد المتوسـط، وكانت الجامعة إذ ذاك لا يلتحـق بهـا مـن أبناء السـعوديين إلا المترديـة والنطيحة ومن شـذ ممن لهم شـأن، حتى إن الوالد جُوبِهَ برفض شـديد مـن أن ألتحق بالجامعـة ، حتـى إن مدير المدرسـة الإبتدائيـة قد أخذ عليـه تعهداً بأنّي إذا لم أقبل في الجامعة لا أُقبل في أي مدرسـة أخرى، تخويفًا؛ سـبب ذلك أنّي كنت متفوقًا في المواد العلمية ، لكنَّ الوالد أصرَّ إلا أن أدخل الجامعة الإسلامية، قال لهم : «الرزق بيد اللّه ، أنا أريده أن يتعلم العلم الشرعي» ، فالتحقت بالمعهد المتوسط بالجامعة، فدرسنا على مشايخ - فـي الحقيقة - أجلاء ، وكان أكثرهم من الأزهر، وكانوا في علوم الآلة مـن الأقويـاء ، ولا زالت عندي كتابـات لبعضهم إلى اليـوم ، كتابات خاصة بي.

ثم انتقلت إلى المعهد الثانوي بالجامعة ، وكان الأمر مثل سابقه.

ثم التحقت بكلية الشـريعة ، ودرَسْـت في كلية الشـريعة ، وزاملت عـدداً من الفضلاء أذكر منهـم الآن : أخي وزميلي ومن أحببته في اللّه وأحبني في اللّه: الشـيخ ياسين محمود - رحمه الله رحمة واسعة - ، وكنـا نتبـادل الأول والثاني في الكلية ، ففي السـنة الأولى كنت الأول وكان الشيخ الثاني، ثم في السنة الثانية كان الأول وكنت الثاني، ثم في الثالثة والرابعة كنت الأول.

أيضًـا زميلـي وأخـي الشـيخ ترحيـب الدوسـري، وهـو زميلي في الدراسـة، وإن كان أسـنَّ منـي، لأنه كان قـد التحق بكليـة أخرى قبل أن يلتحق بكلية الشـريعة، وعدد من الفضلاء، وشـرفت بالتتلمذ على عدد من المشـايخ في الكلية، منهم شـيخي الشـيخ عبدالسلام بن سالم السـحيمي، حيـث تتلمذت عليه سـنتين، في كلية الشـريعة، والشـيخ صالح السحيمي، والشيخ علي الحذيفي، وجمع من المشايخ.

تخرجت في كلية الشـريعة، وأُجبرتُ على قسم أصول الفقه، حتى قيل لي: إن لم ترضَ بقسم أصول الفقه فلن تقبل في أي قسم آخر، فمن فضـل اللّه عليّ، أن مشـايخي كان كل منهم يوجهني في القسـم الذي يريد، كان من مشايخي من يقول لي: لا تلتحق إلا بقسم العقيدة ، نحن نريدك في قسم العقيدة، وكان شيخي الشيخ فيحان المطيري يقول لي: «لا تلتحق إلا بقسم الفقه، ولا نأذن لك إلا في قسم الفقه»، وشاء اللّه

أن أكون في قسم الأصول، فعُيِّنت في قسم الأصول معيدًا ، ودرستُ السنة المنهجية، وفي السنة الثانية أصررت على أن أدرِّس في الكلية، فبحمد اللّه درَّست القواعد الفقهية منذ تقريرها في كلية الشريعة على طلاب الكلية ، فكنت أولَ من درَّسها في الكلية، واستمرَّيت على ذلك سنين، إلى أن انتقلت إلى التدريس في الدراسات العليا في الجامعة، ولا زلنا - ولله الحمد والمنة - ندرِّس في الجامعة.

رزقني اللّه - عز وجل - نعمة عظيمة، وهي التتلمذ على مشايخي الذين حببونا في منهج السلف، وعلمونا أن هذا هو المنهج الصالح للعلم والعمل معًا ، فالعلم النافع هو الذي يكون على طريقة السلف الصالح - رضوان الله عليهم - ، والعمل الصالح إنما هو على طريقتهم؛ لأنها مأخوذة عن النبي ﷺ، ولا زلنا على هذا، وأسأل اللّه أن يثبتنا وإخواني على هذا وأن يميتنا عليه، مهما خالف المخالفون.

أما الحالة الاجتماعية: فأنا متزوج وموحِّد وخائف ، كلها صفات مدح، فالزواج ممدوح شرعًا، والتوحيد ممدوح شرعًا، والخوف ممدوح شرعًا.

لي من الأولاد - الحمد للّه - سبعة، خمسة من الذكور.

ألَّفتُ بعض الكتب، بعضها مخطوط عندي ، وبعضُها نُشِر:

فمما كتبته :

١- شرح الأصول الثلاثة. (تحت الطبع).

٢- شرح منظومة السعدي في القواعد الفقهية - وهي مخطوطة عندي كاملة- . (تحت الطبع).

٣- شرح كتاب البيوع من منار السبيل - وقد فرّغه بعض الفضلاء من أشرطة لي -. (تحت الطبع).

٤- قواعد تعارض المصالح والمفاسد.

٥- مسائل الكتاب والسنة ودلالات الألفاظ التي أخطأ فيها الرازي في المحصول والمعالم.

٦-التعريفات الأصولية في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.

٧- مسائل الأمر الأصولية التي انتقدها شيخ الإسلام ابن تيمية.

٨- الإشراقات على كتاب المقاصد في الموافقات. (تحت الطبع).

٩- نقد شيخ الإسلام ابن تيمية لمسألة تكليف مالا يطاق. (تحت الطبع).

١٠- انحراف الشباب، الوسائل والعلاج.

١١- من فقه الفتن.

رسالة الماجستير كانت عن: التأويل وأثره في أصول الفقه، كان المشرف الشيخ عمر عبدالعزيز، من خيرة من عرفت، عرفتُ فيه حبه للتوحيد، عرفت فيه حبه لعقيدة السلف، وعرفت فيه حبه لكلام شيخ

الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وكان يفرح جدًا عندما آتيه بكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية أو ابن القيم.

ثم رسالة الدكتوراة كانت بعنوان: القواعد المشتركة بين أصول الفقه والقواعد الفقهية، وكان المشرف عليَّ الشيخ عمر عبدالعزيز، وهو عراقي، الآن في قطر، الشيخ مريض، أسأل اللّه أن يشفيه [1]، أشرف علي في الدكتوراة، وانتقل إلى أم القرى قبل أن يتم الإشراف، فطلب رسميًا أن يكمل الإشراف علي، ومن فضله أنه كان يأتيني إلى المدينة لساعة الإشراف، لا أذهب إليه أنا في مكة؛ بل يأتي بسيارته يوم الثلاثاء - لأنه لا محاضرات عنده -، أحيانًا يأتي مباشرة إلى الكلية ويحضر ساعة الإشراف ثم قد يسافر من نفس الليلة إلى مكة، وهذا أمر لا أظن أن أحدًا يفعله، أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجزيه عني خير الجزاء.

الأعمال العلمية والإدارية :

أستاذ مشارك في قسم أصول الفقه بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية.

التدريس في مرحلة الدكتوراه في قسم الفقه وفي مرحلة الماجستير في قسم أصول الفقه إضافة إلى التدريس في المرحلة الجامعية.

الإشراف على عدد من الرسائل في داخل الجامعة وخارجها.

أستاذ كرسي سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ للفتوى وضوابطها في الجامعة.

(١) وقد توفي الشيخ رحمه الله في ٢٥/ ٧/ ٢٠١٠ م.

المشاركة في التدريس في المسجد النبوي.

رئيس لجنة أفريقيا في عمادة القبول والتسجيل سابقا.

رئيس لجنة آسيا في عمادة القبول والتسجيل سابقا.

رئيس لجنة أوروبا في عمادة القبول والتسجيل سابقا.

وكيل كلية الشريعة للدراسات العليا والمسائية سابقا.

عميد شؤون الطلاب في الجامعة الإسلامية سابقا.

عضو مجلس الجامعة سابقا.

عضو اللجنة العليا للتوجيه والإرشاد بالجامعة الإسلامية.

المشاركة في البرنامج الثقافي للجامعة.

إلقاء محاضرات في داخل السعودية وخارجها.

إقامة دورات علمية في داخل السعودية وخارجها.

المشاركة في مؤتمر المواطنة في دولة الكويت الشقيقة.

المشاركة في برنامج الأستاذ الزائر الدولي في الولايات المتحدة الأمريكية.

هذا بعض ما يحضرني في هذا المقام، وهو أمر على كل حال، لا أظن أن فيه فائدة سوى ألا نسمع لغوًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

المسؤول من السادة العلماء القادة الفضلاء، أئمة الدين رضي اللّه عنهم أجمعين أن يخبرونا بفضائل الرمي وتعليمه؛ وما ورد فيمن تركه بعد تعلمه؛ وأيما أفضل الرمي بالقوس أو الطعن بالرمح؟ أو الضرب بالسيف؟

وهل لكل واحد منهم علم يَختص به ومحل يليق به ؟.

وإذا علَّم رجل رجلاً الرمي أو الطعن وغيرهما من آلات الحرب والجهاد في سبيل اللّه تعالى وجحد تعليمه؛ وانتقل إلى غيره وانتمى إليه: هل يأثم بذلك أم لا ؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وإذا قال قائل لهذا المنتقل: أنت مهدور، أو تقتل: أثم بذلك أم لا ؟ وإن زاد فقال له: أنت لقيط، أو ولد زنا: يعد قذفا، ويحد بذلك أم لا ؟.

وهل يحل للأستاذ الثاني أن يقبل هذا المنتقل ويعزره على جحده لمعلمه؟ وإذا قال المنتقل: أنا أنتمي إلى فلان تعليما وتخريجاً وإلى فلان إفادة وتفهيما: هل يسوغ له ذلك أم لا ؟

وهل للمبتدئ أن يقوم في وسط جماعة من الأستاذينَ والمتعلمينَ ويقول: يا جماعة الخير أسأل اللّه تعالى وأسألكم أن تسألوا فلاناً أن يقبلني أن أكون له أخاً أو رفيقاً أو غلاماً أو تلميذاً أو ما أشبه ذلك؛ فيقوم أحد الجماعة فيأخذ عليه العهد. ويشترط عليه ما يريده، ويشد وسطه بمنديل أو غيره: فهل يسوغ هذا الفعل أم لا ؟ لما يترتب عليه من المحاماة والعصبية لأستاذ؛ بحيث يصير لكل من الأستاذينَ إخوان ورفقاء وأحزاب وتلامذة يقومون معه إذا قام بحق أو باطل ويعادون من عاداه ويوالون من والاه.

وهل إذا اجتمعوا للرمي على رهن هل يحل أم لا ؟ وهل يقدح في عدالة الأستاذ إذا فعل التلامذة ما لا يحل في الدين ويقرهم على ذلك؟ وهل إذا شد المعلم للتلميذ، وحصل بذلك هبة وكرامة - وجميع ذلك في العرف يرجع إلى الأستاذ - يحل له تناوله أم لا؟ وهل للأستاذ أن يقبل أجرة أو هبة أو هدية ؟ فإن المعلم تلحقه كلفة من آلات وغيرها.

أفتونا مأجورين وأرشدونا رضي اللّه عنكم أجمعين.

فأجاب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الحمد لله رب العالمين.

الرمي في سبيل اللّه، والطعن في سبيل اللّه، والضرب في سبيل اللّه: كل ذلك مما أمر اللّه تعالى به ورسوله وقد ذكر اللّه تعالى الثلاثة، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا﴾[محمد: ٤]،

وقال تعالـى: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفـال:١٢]، وقـال تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾[المائدة:٩٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ﴾[الأنفال:٦٠]،

وقد ثبت في صحيح مسلم وغيره عن النبي ﷺ أنه قرأ على المنبر هذه الآية فقال: «**ألا إن القوة الرمي! ألا إن القوة الرمي! ألا إن القوة الرمي**».

وثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال: « **ارموا واركبوا ! وأن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا !، ومن تعلم الرمي ثم نسيه فليس منا** »؛ وفي رواية: «**ومن تعلم الرمي ثم نسيه فهي نعمة جحدها**». وفي السنن عنه ﷺ أنه قال: «**كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل؛ إلا رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته امرأته: فإنهن من الحق**». وقال: «**ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم اللّه، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه**».

وقال مكحول: كتب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الشام: (أن علموا أولادكم الرمي والفروسية).

وفي صحيح البخاري عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**ارموا بني إسماعيل؛ فإن أباكم كان رامياً**». ومر على نفر مِنْ أَسْلَمَ ينتضلون فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**ارموا بني إسماعيل؛ فإن أباكم كان رامياً ارموا وأنا مع بني فلان**» فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال: ما لكم لا ترمون؟ قالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال: «**ارموا وأنا معكم كلكم**».

وقال سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نثل لي رسول اللّه ﷺ - يعني نفض كنانته يوم أُحد - وقال: « **ارم فداك أبي وأمي**» وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما رأيت رسول اللّه ﷺ جمع أبويه لأحد إلا لسعد: قال له: «**ارم سعد فداك أبي وأمي**».

وقال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول اللّه ﷺ :«**لصوت أبي طلحة في الجيش خير من مائة**» وكان إذا كان في الجيش جثا بين يديه، ونثر كنانته، فقال: نفسي لنفسك الفداء، ووجهي لوجهك الوقاء.

وكان النبي ﷺ له السيف والقوس والرمح. وفي السنن عنه ﷺ أنه قال: «**من رمى بسهم في سبيل اللّه - بلغ العدو أو لم يبلغه - كانت له عدل رقبة**».

وفي السنن عنه ﷺ أنه قال: «**إن اللّه يدخل بالسهمِ الواحدِ ثلاثةَ نفرٍ الجنةَ: صانعه يحتسب في صنعته الخير؛ والرامي بهِ، والممد به**»

وهذا لأن هذه الأعمال هي أعمال الجهاد والجهاد، أفضل ما تطوع به الإنسان، وتطوعه أفضل من تطوع الحج وغيره، كما قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[التوبة:١٩]،

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ٢١ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٢ ﴾[التوبة: ٢٠ - ٢٢].

وفي الصحيح أن رجلا قال: (لا أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام!) فقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الجهاد في سبيل اللّه أفضل من هذا كله). فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكن إذا قضيت الصلاة سألته عن ذلك. فسأله؛ فأنزل اللّه هذه الآية)؛ فبين لهم أن الإيمان والجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام والحج والعمرة والطواف ومن الإحسان إلى الحجاج بالسقاية؛

ولهـذا قـال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لأن أرابط ليلة في سـبيل اللّه أحب إلي من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود).

ولهـذا كان الربـاطُ فـي الثغور أفضلَ مـن المجاورة بمكـة والمدينة، والعملُ بالرمح والقوس في الثغور أفضلَ من صلاة التطوع.

وأما في الأمصار البعيدة من العدو فهو نظير صلاة التطوع.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن في الجنة مائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله**».

وهـذه الأعمـال كل منها لـه محل يليق به هو أفضـل فيه من غيره، فالسـيف عند مواصلة العدو، والطعن عنـد مقاربته، والرمي عند بعده أو عند الحائل كالنهر والحصن ونحو ذلك. فكلما كان أنكى في العدو وأنفع للمسـلمين فهـو أفضل. وهذا يختلف باختـلاف أحوال العدو، وباختـلاف حال المجاهدين في العدو. ومنه مـا يكون الرمي فيه أنفع، ومنه ما يكون الطعن فيه أنفع. وهذا مما يعلمه المقاتلون.

فصـــــل

وتعلـم هـذه الصناعات هو من الأعمال الصالحـة لمن يبتغي بذلك وجـه اللّه عـز وجل، فمـن علَّم غيره ذلك كان شـريكه فـي كل جهاد يجاهــد بـه، لا ينقـص أحـدهما مـن الأجر شـيئا كالذي يُقـرِأ القرآن ويُعلِّـم العلـم.

وعلى المتعلم أن يحسن نيته في ذلك ويقصد به وجه اللّه تعالى، وعلى المعلم أن ينصح للمتعلم ويجتهد في تعليمه، وعلى المتعلم أن يعرف حرمة أستاذه ويشكر إحسانه إليه؛ فإنه من لا يشكر الناس لا يشكر اللّه، ولا يجحد حقه ولا ينكر معروفه.

وعلى المعلمين أن يكونوا متعاونين على البر والتقوى كما أمر النبي ﷺ بقوله: «**المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه**». وقوله: «**مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**». وقوله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحبه لنفسه**».

وقولـه: «**المؤمـن للمؤمن كالبنيان يشـد بعضه بعضا**» وشـبك بين أصابعه، وقال صلى الله عليه وسلم: «**لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد اللّه إخوانا**». وهذا كله في الصحيح.

وفي السـنن عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصلاة والصيـام والصدقة والأمر بالمعـروف والنهي عن المنكـر؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه! قال: صلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة؛ لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين**».

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: « **تفتح أبواب الجنة كل يوم اثنين وخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا؛ إلا رجلاً كان بينه وبين أخيه شحناء؛ فيقال: أَنْظِروا هذين حتى يصطلحا**». وقال ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث؛ يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**».

وليس لأحد من المعلمين أن يعتدي على الآخر، ولا يؤذيه بقول ولا فعل بغير حق؛ فإن اللّه تعالى يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٥٨].

وليس لأحد أن يعاقب أحداً على غير ظلم ولا تعدي حد ولا تضييع حق؛ بل لأجل هواه؛ فإن هذا من الظلم الذي حرم اللّه ورسوله؛ فقد قال تعالى فيما روى عنه نبيه ﷺ : «**يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما؛ فلا تظالموا**».

وإذا جنى شخص فلا يجوز أن يعاقب بغير العقوبة الشرعية، وليس لأحد من المتعلمين والأستاذين أن يعاقبه بما يشاء، وليس لأحد أن يعاونه ولا يوافقه على ذلك، مثل أن يأمر بهجر شخص فيهجره بغير ذنب شرعي، أو يقول: أقعدته أو أهدرته أو نحو ذلك؛

فإن هذا من جنس ما يفعله القساوسة والرهبان مع النصارى والحزابون مع اليهود، ومن جنس ما يفعله أئمة الضلالة والغواية مع أتباعهم. وقد قال الصديق الذي هو خليفة رسول اللّه ﷺ في أمته: (أطيعوني ما أطعت اللّه فإن عصيت اللّه فلا طاعة لي عليكم). وقد قال النبي ﷺ : «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**». وقال: «**من أمركم بمعصية اللّه فلا تطيعوه**».

فـإذا كان المعلـم أو الأسـتاذ قـد أمـر بهجـر شـخص؛ أو بإهداره وإسـقاطه وإبعـاده ونحو ذلك: نُظـر فيه، فإن كان قد فعل ذنبا شـرعيا عوقـب بقدر ذنبـه بلا زيادة، وإن لـم يكن أذنب ذنبا شـرعيا لـم يجز أن يعاقب بشيء لأجل غرض المعلم أو غيره.

وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البر والتقوى كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[المائدة:٢].

وليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهدا بموافقته على كل ما يريده؛ وموالاة من يواليه؛ ومعاداة من يعاديه، بل من فعل هذا كان من جنس جنكيزخان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقا مواليا، ومن خالفهم عدوا باغيا؛

بل عليهم وعلى أتباعهم عهد اللّه ورسوله بأن يطيعوا اللّه ورسوله؛ ويفعلوا ما أمر اللّه به ورسوله؛ ويحرموا ما حرم اللّه ورسوله؛ ويرعوا حقوق المعلمين كما أمر اللّه ورسوله.

فإن كان أستاذ أحد مظلوماً نصره، وإن كان ظالماً لم يعاونه على الظلم بل يمنعه منه؛ كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**انصر أخاك ظالما أو مظلوما، قيل: يا رسول اللّه! أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالماً ! قال: تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه**».

وإذا وقع بين معلم ومعلم أو تلميذ وتلميذ أو معلم وتلميذ خصومة ومشاجرة لم يجز لأحد أن يعين أحدهما حتى يعلم الحق، فلا يعاونه بجهل ولا بهوى، بل ينظر في الأمر فإذا تبين له الحق أعان المحق منهما على المبطل سواء كان المحق من أصحابه أو أصحاب غيره؛ وسواء كان المبطل من أصحابه أو أصحاب غيره فيكون المقصود عبادة اللّه وحده وطاعة رسوله؛ واتباع الحق والقيام بالقسط،

قال اللّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾[النساء:١٣٥]، يقال: لوى يلوي لسانه: فيخبر بالكذب. والإعراض: أن يكتم الحق؛ فإن الساكت عن الحق شيطان أخرس.

ومن مال مع صاحبه - سواء كان الحق له أو عليه - فقد حكم بحكم الجاهلية وخرج عن حكم اللّه ورسوله،

والواجب على جميعهم أن يكونوا يداً واحدةً مع المحق على المبطل، فيكون المعظم عندهم من عظَّمه اللّه ورسوله، والمقدم عندهم من قدَّمه اللّه ورسوله، والمحبوب عندهم من أحبه اللّه ورسوله، والمهان عندهم من أهانه اللّه ورسوله بحسب ما يرضي اللّه ورسوله لا بحسب الأهواء؛ فإنه من يُطع اللّه ورسوله فقد رشد؛ ومن يعص اللّه ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه.

فهذا هو الأصل الذي عليهم اعتماده. وحينئذ فلا حاجة إلى تفرقهم وتشيعهم؛ فإن اللّه تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾[الأنعام:١٥٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾[آل عمران:١٠٥]،

وإذا كان الرجل قد عَلَّمَهُ أستاذ عرف قدر إحسانه إليه وشكره.

ولا يشد وسطه لا لمعلمه، ولا لغير معلمه؛ فإن شد الوسط لشخص معين، وانتسابه إليه - كما ذكر في السؤال -: من بدع الجاهلية؛ ومن جنس التحالف الذي كان المشركون يفعلونه؛ ومن جنس تفرق قيس ويمن فإن كان المقصود بهذا الشد والانتماء التعاون على البر والتقوى فهذا قد أمر اللّه به ورسوله له ولغيره بدون هذا الشد، وإن كان المقصود به التعاون على الإثم والعدوان فهذا قد حرمه اللّه ورسوله.

فما قصد بهذا من خير ففي أمر اللّه ورسوله بكل معروف استغناء عن أمر المعلمين، وما قصد بهذا من شر فقد حرمه اللّه ورسوله.

فليس لمعلم أن يحالف تلامذته على هذا، ولا لغير المعلم أن يأخذ أحدا من تلامذته لينسبوا إليه على الوجه البدعي: لا ابتداء ولا إفادة، وليس له أن يجحد حق الأول عليه؛

وليس للأول أن يمنع أحدا من إفادة التعلم من غيره؛

وليس للثاني أن يقول: شد لي وانتسب لي دون معلمك الأول، بل إن تعلـم من اثنين فإنه يراعي حق كل منهما ولا يتعصب لا للأول ولا للثاني، وإذا كان تعليم الأول له أكثر كانت رعايته لحقه أكثر.

وإذا اجتمعوا على طاعة اللّه ورسـوله وتعاونوا على البر والتقوى لم يكن أحد مع أحد في كل شيء؛ بل يكون كل شخص مع كل شخص في طاعة اللّه ورسـوله، ولا يكونون مع أحد في معصية اللّه ورسـوله، بل يتعاونون على الصدق والعدل والإحسان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصر المظلوم وكل ما يحبه اللّه ورسـوله؛ ولا يتعاونون لا على ظلم ولا عصبية جاهلية ولا اتباع الهوى بدون هدى من اللّه، ولا تفرق ولا اختلاف؛ ولا شـد وسط لشـخص ليتابعه في كل شيء، ولا يحالفه على غير ما أمر اللّه به ورسوله.

وحينئذ فلا ينتقل أحد عن أحد إلى أحد؛ ولا ينتمي أحد: لا لقيطا، ولا ثقيلا ولا غير ذلك من أسماء الجاهلية؛ فإن هذه الأمور إنما ولَّدها كون الأستاذ يريد أن يوافقه تلميذه على ما يريد، فيوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه مطلقاً. وهذا حرام؛ ليس لأحد أن يأمر به أحداً؛ ولا يجيب عليه أحداً؛

بـل تجمعهم السـنة وتفرقهم البدعـة؛ يجمعهم فعل ما أمـر اللّه به ورسـوله، وتفرق بينهم معصية اللّه ورسـوله، حتـى يصير الناس أهل طاعـة اللّـه أو أهل معصية اللّه، فلا تكون العبـادة إلا لله عز وجل ولا الطاعة المطلقة إلا له سبحانه ولرسوله ﷺ.

ولا ريب أنهم إذا كانوا على عادتهم الجاهلية - أي من علمه أستاذ كان محالفا له - كان المنتقل عن الأول إلى الثاني ظالما باغيا ناقضا لعهده غير موثوق بعقده؛ وهذا أيضاً حرام وإثم، هذا أعظم من إثم من لم يفعل مثل فعله؛

بـل مثل هذا إذا انتقل إلى غير أسـتاذه وحالفه كان قد فعل حراما؛ فيكـون مثـل لحم الخنزير الميـت! فإنه لا بعهـد اللّه ورسـوله أوفى ولا بعهـد الأول؛ بل كان بمنزلة المتلاعب الـذي لا عهد له، ولا دين له ولا

وفاء. وقد كانوا في الجاهلية يحالف الرجل قبيلة فإذا وجد أقوى منها نقض عهد الأولى وحالف الثانية - وهو شبيه بحال هؤلاء -؛

فأنزل اللّه تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[النحل:٩١ - ٩٤].

وعليهم أن يأتمروا بالمعروف ويتناهوا عن المنكر، ولا يدعوا بينهم من يظهر ظلما أو فاحشة، ولا يدعوا صبيا أمرد يتبرج أو يظهر ما يفتن به الناس، ولا أن يعاشر من يُتَّهم بعشرته، ولا يكرم لغرض فاسد.

ومـن حالف شـخصا على أن يوالي مـن والاه ويعـادي من عاداه كان من جنس التتر المجاهدين في سـبيل الشيطان، ومثل هذا ليس من المجاهدين في سـبيل اللّه تعالى، ولا من جند المسـلمين، ولا يجوز أن يكون مثل هؤلاء من عسـكر المسلمين؛ بل هؤلاء من عسكر الشيطان،

ولكن يَحْسُن أن يقول لتلميذه: عليك عهد اللّه وميثاقه أن توالي من والى اللّه ورسوله، وتعادي من عادى اللّه ورسوله، وتعاون على البر والتقوى ولا تعاون على الإثم والعدوان، وإذا كان الحق معي نصرت الحق وإن كنت على الباطل لم تنصر الباطل.

فمـن التزم هـذا كان مـن المجاهدين في سـبيل اللّه تعالـى، الذين يريدون أن يكون الدين كله لله ،وتكون كلمة اللّه هي العليا.

وفـي الصحيحـين: أن النبـي ﷺ قيل له: يا رسـول اللّـه! الرجل يقاتل شـجاعة ويقاتـل حمية ويقاتل ريـاء، فأي ذلك في سـبيل اللّه؟ فقال: «**من قاتل لتكون كلمة اللّه هي العليا فهو في سبيل اللّه**».

فإذا كان المجاهد الذي يقاتل حمية للمسلمين؛ أو يقاتل رياء للناس ليمدحوه؛ أو يقاتل لما فيه من الشجاعة: لا يكون قتاله في سبيل اللّه عز وجل حتى يقاتل لتكون كلمة اللّه هي العليا، فكيف من يكون أفضل تعلمه صناعة القتال مبنيا على أساس فاسد ليعاون شخصا مخلوقا على شخص مخلوق؟!

فمن فعل ذلك كان من أهل الجاهلية الجهلاء، والتتر الخارجين عن شريعة الإسلام،

ومثل هؤلاء يستحقون العقوبة البليغة الشرعية التي تزجرهم وأمثالهم عن مثل هذا التفرق والاختلاف؛ حتى يكون الدين كله لله والطاعة لله ورسوله، ويكونون قائمين بالقسط يوالون لله ورسوله، ويحبون لله ويبغضون لله ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

وللمعلمين أن يطلبوا جُعلا ممن يعلمونه هذه الصناعة؛ فإن أخذ الجُعْل والعِوَض على تعليم هذه الصناعة جائز، والاكتساب بذلك أحسن المكاسب،

ولو أهدى الـمُعلَّم لأسـتاذه لأجل تعليمه وأعطاه ما حصل له من السـبق أو غير السـبق عوضاً عـن تعليمه وتحصيله الآلات واسـتكرائه الحانـوت كان ذلك جائزاً للأسـتاذ قبوله، وبذل العـوض في ذلك من أفضل الأعمال،

حتى إن الشريعة مضت بأنه يجوز أن يبذل العوض للمسابقين من غيرهما.

فإذا أخرج ولي الأمر مالاً من بيت المال للمسابقين بالنشاب والخيل والإبل كان ذلك جائزاً باتفاق الأئمة. ولو تبرع رجل مسلم ببذل الجعل في ذلك كان مأجوراً على ذلك،

وكذلك ما يعطيه الرجل لمن يعلمه ذلك هو ممن يثاب عليه، وهذا لأن هذه الأعمال منفعتها عامة للمسلمين، فيجوز بذل العوض من آحاد المسلمين فكان جائزاً،

وإن أخرجا جميعا العوض وكان معهما آخر محللا يُكافيها كان ذلك جائزا، وإن لم يكن بينهما محلل فبذل أحدهما شيئا طابت به نفسه من غير إلزام له أطعم به الجماعة، أو أعطاه للمعلم أو أعطاه لرفيقه: كان ذلك جائزاً.

وأصل هذا أن يَعْلَم أن هذه الأعمال عون على الجهاد في سبيل اللّه، والجهاد في سبيل اللّه مقصوده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة اللّه هي العليا.

وجماع الدين شيئان:

أحدهما: أن لا نعبد إلا اللّه تعالى.

والثاني: أن نعبده بما شرع؛ لا نعبده بالبدع؛

كما قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[هود:٧]، قال الفضيل بن عياض: (أخلصه وأصوبه. قيل له: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل؛ وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص: أن يكون لله. والصواب: أن يكون على السنة).

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول في دعائه: (اللّهم اجعل عملي كله صالحاً؛ واجعله لوجهك خالصاً؛ ولا تجعل لأحد فيه شيئا).

وهذا هو دين الإسلام الذي أرسل اللّه به رسله وأنزل به كتبه، وهو الاستسلام لله وحده. فمن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠]، ومن استسلم لله ولغيره كان مشركاً؛ فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾[النساء:٤٨]،

ولهذا كان لله حق لا يشركه فيه أحد من المخلوقين، فلا يُعبد إلا اللّه، ولا يُخاف إلا اللّه، ولا يُتقى إلا اللّه، ولا يُتوكل إلا على اللّه، ولا يُدْعى إلا اللّه كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح:٧، ٨].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور:٥٢]، فالطاعة لله والرسول والخشية والتقوى لله وحده.

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة:٥٩]، فالرغبة إلى اللّه وحده والتحسب باللّه وحده. وأما الإيتاء فلله والرسول كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[الحشر:٧].

فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه، فليس لأحد من المشايخ والملوك والعلماء والأمراء والمعلمين وسائر الخلق خروج عن ذلك، بل على جميع الخلق أن يدينوا بدين الإسلام الذي بعث اللّه به رسله؛ ويدخلوا به كلهم في دين خاتم الرسل وسيد ولد آدم وإمام المتقين خير الخلق وأكرمهم على اللّه محمد عبده ورسوله ﷺ تسليماً،

وكل من أمر بأمر كائناً من كان عرض على الكتاب والسـنة؛ فإن وافق ذلك قُبِلَ وإلاّ رُدَّ؛ كما جاء في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**» أي: فهو مردود.

فإذا كان المشايخ والعلماء في أحوالهم وأقوالهم: المعروف والمنكر، والهدى والضلال، والرشاد والغي، وعليهم أن يردوا ذلك إلى اللّه والرسول، فيقبلوا ما قبله اللّه ورسوله، ويردوا ما رده اللّه ورسوله: فكيف بالمعلَّمينَ وأمثالهم؟! وقد قال اللّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[النساء:٥٩]،

وقد قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[البقرة:٢١٣]. فنسأل اللّه تعالى أن يهدينا وسائر إخواننا إلى صراطه المستقيم؛ صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. واللّه سبحانه أعلم.

أُصُول السُّنَّة

للإمام

أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبَل الشيباني

رحمه الله

(١٦٤هـ - ٢٤١هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة موجزة للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (١)

أولاً: اسمه ونسبه ونسبته وكنيته، وصفته:

هو الإمام الزاهد المجاهد العامل بعلمه أبو عبدالله، أحمد بن محمد بن حبنل بن هلال بن أسد الشيباني ثم الذهلي، نِسْبَتُهُ إلى بغداد فإنه ولد فيها، ونشأ فيها، وتوفي فيها رحمه الله، واشتهر عند الناس نسبة الإمام إلى جده فيقال: أحمد ابن حنبل، ويقال في مذهبه: المذهب الحنبلي.

وأما صِفَتُهُ رحمه الله فقد كان طُوالاً، أسمر، شديد السمرة، في لحيته شعرات سود، وكان يخضب بالحناء.

قال الميموني: ما أعلم أني رأيت أحداً أنظف ثوباً، ولا أشد تعاهداً في شاربه وشعر رأسه، وبدنه، ولا أنقى ثوباً من أحمد بن حنبل رحمه الله.

ثانياً: ولادته، ونشأته العلمية، وأسرته:

أما ولادته فقد أفادت الروايات أنه ولد ببغداد في العشرين من شهر ربيع الأول لعام ١٦٤هـ، وهو وحيد أبويه، فقد مات أبوه وهو صغير، وتولت تربيته بعد ذلك أُمُّهُ، فقدمت به إلى بغداد - مدينة العلم- وأحسنت إليه، وقد بدت عليه النجابة من صغره، واشتهر بحبه

(١) مختصره من كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ١٧٧).

الشـديد للعلم، حتى قال عنه الحافظ الهيثـم الأنطاكي: «إن عاش هذا الفتى فسـيكون حجةً على أهل زمانه»، وكان بدء طلبه للحديث سـنة ١٧٩هـ وأول من سمع منه هو شيخه هشيم بن بشير الواسطي.

ثالثاً: رحلاتـــــه:

كانـت أول رحلاته إلى الكوفة، ثم رحل إلـى البصرة، ورحل إلى عبادان وواسـط، ورحل بعدها إلى الحجاز لأداء الحج، ثم رحل ماشياً إلى صنعاء للسَّـماع مـن محدثها عبـد الرزاق الصنعانـي، ورحل إلى الشام، وغيرها.

رابعاً: من أشهر شيوخه:

١- هشيم بن بشير الواسطي.

٢- محمد بن إدريس الشافعي.

٣- إسماعيل بن علية.

٤- يزيـد بن هـارون، وغيرهم كثيـر من الأئمة الأعـلام، والمقام لا يسع لحصرهم.

خامساً: من أشهر تلاميذه:

١- ابنـاه: عبد اللّه وصالح.

٢- محمد بن إسماعيل البخاري.

٣- مسلم بن الحجاج النيسابوري.

٤- أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان وغيرهم كثير.

سادساً: منزلته عند العلماء:

- قال الذهبي: (كان أحمد عظيم الشأن، رأسا في الحديث وفي الفقه وفي التَّألُّه، أثنى عليه خلق من خصومه، فما الظن بإخوانه وأقرانه؟ وكان مهيباً في ذات اللّه حتى قال أبو عبيد: ما هبت أحداً في مسألة، ما هبت أحمد بن حنبل).
- وقال ابن المديني: (إن اللّه أعز هذا الدين برجلين: أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة)
- وقال خلف بن سالم: (كنا في مجلس يزيد بن هارون، فمزح يزيد مع مُسْتَمليه، فتنحنح أحمد بن حنبل، فقال يزيد: من المتنحنح؟ فقيل: أحمد بن حنبل، فضرب بيده على جبينه وقال: ألا أعلمتموني أن أحمد هنا حتى لا أمزح).

سابعاً: مكانته في الجرح والتعديل وحفظُهُ:

- قد ذكرَهَ الإمامُ ابنُ أبي حاتم في مقدمة كتابه الجرح والتعديل التي جعلها في ذكر الأئمة النقاد للآثار الذين يعتد قولهم في الجرح والتعديل، فقال: «ومن العلماء الجهابذة النقاد من الطبقة الثالثة أحمد بن حنبل»، وقال الشافعي: رأيت ببغداد شاباً إذا قال

حدثنا، قال النـاس كلهم: صدق، فقيل: من هو؟ قال: أحمد ابن حنبل.

- وقـال ابنه عبد اللّه: سـمعت أبا زرعة الـرازي يقول: كان أحمد بـن حنبل يحفـظ ألف ألف حديث، فقيل لـه: وما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب.
- وقـال أبـو نعيـم: كان الإمام أحمـد موضعه مـن الإمامة موضع الدِّعَامـة، لقدوتـه بالآثار، وملازمته للأخيـار ... وكان في حفظ الآثار الجبل العظيم، وفي العلل والتعليل البحر العميم.

ثامناً: زهده وورعه وعبادته:

- كان رحمـه اللّـه آية في التواضع وبذل نفسـه للنـاس، وكان كثير التعبـد والتألـه وقـراءة القـرآن، حتى قال عنـه أبـو داود: (لقيت مائتين من مشـايخ العلم، فما رأيت مثل أحمد بن حنبل، لم يكن يخـوض في شـيء مما يخوض فيه الناس من أمـر الدنيا، فإذا ذُكِرَ العلم تكلم).
- وكان رحمه الله بعيداً عن الشهرة والإعجاب حتى قال: (أريد أن أكون في بعض تلك الشعاب حتى لا أعرف، قد ابتليت بالشهرة، إني أتمنى الموت صباحاً مساء).
- وأما الورع فقد قال قول قتيبة بن سعيد: (لولا أحمد لمات الورع)، ويكفي كتابه رحمه الله في الورع.

■ ومـن زهـده ما قاله ابنه صالـح رحمهما الله: كان كثيـراً ما يأتَدِمُ بالخل، وربما رأيته يأكل الكسر فينفض الغبار عنه، ثم يصيرها في قصعـة فيصب عليهـا الماء حتى تلـين، ثم يأكله بالملـح، وما رأيته قط اشـترى رمّاناً، ولا سـفرجلاً، ولا شـيئاً من الفاكهة ... وربما اشترينا الشيء، فنستره عنه حتى لا يرانا فيوبخنا على ذلك.

تاسعاً: عقيـــدته:

أما عقيدته فهو إمام أهل السـنة والجماعة في زمانه، بل حُبُّه عُلامة على السنة، وبغضه علامة على البدعة.

قـال أحمـد الدورقي: من سـمعتموه يذكر أحمد بن حنبل بسـوء، فاتهموه على الإسلام.

وقيل لبشـر الحافي لما ضُرِبَ الإمـامُ أحمد: لو أنك خرجت فقلت أنا على قول أحمد، فقال: أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء؟!.

عاشراً: محنـــته:

بـدأت فتنـةُ خلق القرآن في عهد المأمون سـنة (٢١٢هـ)، وانتهت في عهد المتوكل سـنة (٢٣٤هـ)، ويمكن تقسـيم ما جرى في الفتنة إلى خمس مراحل:

١- عصر الرشيد: وكان أمارات هذا القول المنكر بَدَأت في الظهور إلا أن أهلـه كانوا على خوف ووجل، وكان القائل بخلق القرآن مقموعاً.

٢- عصـر المأمون: تولّـى المأمون بن هارون الرشـيد الخلافة، فصار يعرب كتب اليونان، وقـد داخله في خلافته أهل الكلام وبطانة السـوء، فتشـبعت روحه بالاعتزال، واتخذ المعتزلة ممن حوله له شـعاراً ودثـاراً، وعلى رأسـهم أحمد بـن أبـي دؤاد، الذي هيّج هـذه الفتنة، ونشـر أمرها، ثم دعا الخليفـةَ إلى حمل الناس على هـذا القـول وفتنَهُم بـه، وجعل العقوبـات على مـن لم يجب، فأجـاب كثير من العلماء مكرهـين تحت التهديدات، وصمد قلة من العلماء منهـم الإمام أحمد بن حنبل، فأراد المأمون أن يقابل الإمـام أحمد في طرطـوس فحُمِل إليه من بغـداد مقيداً، فمات المأمـون قبل وصول الإمام أحمـد، فرجعوا به إلى بغداد ووُضع في الحبس.

٣- عصـر المعتصـم: وفي عصره اسـتفحلت المحنة، وذلـك أنَّ ابنَ أبي دؤاد اسـتمر في تحريض المعتصم على الإمام أحمد، فسَـلَّط المعتصـم أضواءَهُ على الإمام أحمد المكبل في السـجن، فأتى به وأمر بطانته السـيئة بمناظرته، فكان يناظرهم رحمه الله ويسـكتهم، ثم

إنَّ ابـنَ أبي داود اسـتمر فـي تهييج المعتصم عليه وتهويل سـوء العاقبة إن أطلقه، فأمر المعتصم بضربه بالسِّـياط، ونَخْسِهِ بِقوائم السـيوف، حتى خُلعـت يداه، وأغمي عليه، واسـتمر هذا الحال ثمانيـة وعشـرين شـهراً، فلما خَشِـيَ المعتصم مـوتَ الإمام من الضـرب وخـروج عامـة أهل بغـداد عليه لـو مات، كـفَّ عنه، وأرجعـه إلى أهله، ورفـع المحنة عنه، وبعدها رجـع الإمام إلى التحديث والجماعة والفتوى لمدة سبع سنين.

٤- عصر الواثق: توفي المعتصم سـنة ٢١٨هـ، وتولى بعده الواثق، واسـتمر تحريض ابن أبي داود على الإمام أحمد حيث أنه خاف من شـيوع أمره بعـد أن رجع للتحديث، فأمـره الواثق بالخروج من دار إسحاق بن إبراهيم في بغداد وأن يسكن في مكان آخر، فانقطـع الإمـام عن التحديـث واختبأ بـين داره ودور أصدقائه، ولم يخرج للناس إلى أن هلك الواثق سنة ٢٣٢هـ.

٥- عصـر المتوكل: ارتفعت المحنة في عهده، وأكرم العلماء، وكتب إلى الآفاق بالانتهاء من هذا أمر، وقد أُتي بالإمام أحمد ليقتص ممـن عذّبـه، فعفى عنهـم كلهم إلا صاحـب بدعة، فرحمـه اللّه وجـزاه اللّه خيـر الجزاء على صبره واحتسـابه لتبقى عقيدة أهل السـنة صافية مـن كدر البدعة، وهكـذا الله تعالـى في كل زمن

يَسـخر أُناسـا من أمثال ابن حنبل يقفون حاجـزاً منيعاً أمام أهل البدعـة والضلالـة ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠].

إحدى عشر: مؤلفاتـــه:

للإمام أحمد العديد من المؤلفات وأشهرها ما يلي:

١- أشهرها المسند.

٢- فضائل الصحابة.

٣- العلل ومعرفة الرجال.

٤- الورع.

٥- الزهد.

٦- الرد على الزنادقة والجهمية.

إثنا عشر: وفاتـــــه:

توفي رحمه الله في بغداد، بسـبب مرض الحمّـى، يوم الجمعة ١٢/ ربيع الآخر / لعام ٢٤١هـ، ودفن في ذلك اليوم، وكان عمره سبعة وسبعين عامـاً، وشـهد جنازته الجـم الغفير مـن الناس، حتى قـال عبد الوهاب الـوراق: (مـا بلغنا أن جمعـا في الجاهلية والإسـلام مثله، وحرز على الصحيح فإذا هو نحو من ألف ألف).

السيرة الذاتيـــة

للشيخ العلاَّمة أ.د. صالح بن سعد السحيمي[١]

بسم الله والحمـدلله والصلاة والسـلام على رسـول الله وبـعد،

ففي رجب عام (١٣٦٨هـ) وُلِدّت في البادية قرب قرية الشـملي، وفـي ربيـع الأول عـام(١٣٧٦هـ)بـدأت الدراسـة أنا وأخـي فضيلة الشيخ ذياب في مدرسـة أُحد السعودية بالمدينة النبوية بمشورة لوالدي من شـيخنا الشيخ عبدالرحمن الخضيري إمام ومرشـد قبيلتنا آن ذاك، والشـيخ عبدالله بن رجـاء السـحيمي أول من درس مـن قبيلتنا ولزم المشايخ بالرياض سنين عدة.

وحصلـت مع أخي على شـهادة الإبتدائية عـام (١٣٨٢هـ) حيث التحقـت مع أخـي بالمعهد العلمـي بالمدينة النبويـة وحصلت مع أخي على شـهادة الثانوية عام (١٣٨٨هـ)، وقد تأثرت أثناء دراستي بالمعهد العلمـي بعدد من المشـايخ منهم الشـيخ عبدالله الخضيري والشـيخان عبدالرحمـن ومحمـد العجلان والشـيخ حميـد بن إبراهيـم الحازمي وغيرهم وكنت أحضر لشيخنا الفاضل الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بعـض الـدروس بالمسـجد النبـوي وكذلك الشـيخ أبو بكـر الجزائري

(١) ضيف هذه الدورة

والشيخ عبد القادر شيبة الحمد وبعض دروس الشيخ محمد البصيري ثم التحقت أنا وأخي بكلية الشـريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية عـام(١٣٨٨هـ)حيث تخرجت منها بتقدير ممتـاز في جمادى الأولى عام (١٣٩٢هـ) وأثناء دراسـتي في الكلية كنت أحضر دروس الشـيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز في صحيح البخاري والفرائض بالمسجد النبوي كما أخذت عنه أثناء دراسـتي في الكلية وتتلمذت على الشيخ محمد الأمين الشـنقيطي والشـيخ حماد بن محمد الأنصاري والشيخ عبد المحسـن العباد البدر والشيخ عبد اللطيف الباهلي والشيخ محمد المختار الشنقيطي والشيخ عبد الكريم مراد البلوشي والشيخ عبد القادر شيبة الحمد والشيخ أبو بكر الجزائري والشيخ عبر الرؤوف اللبدي وقد أخـذت عنـه اللغة العربية والنحو والشـيخ محمد أمـان الجامي، وبعد التخـرج تعينت معلماً بوزارة المعارف بمتوسـطة أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمدينة النبوية.

ثـم انتقلـت إلـى الجامعـة الإسـلامية عـام(١٣٩٥هـ)برغبة من شـيخنا الشيخ عبد المحسن العباد البدر عندما كان نائباً لرئيس الجامعة الإسـلامية وعينت مدرسـاً بالمعهد الثانوي التابع للجامعة ثم التحقت بجامعة الأزهر في كلية الشريعة عام(١٣٩٦هـ) وحصلت على درجة الماجستير بتقدير ممتاز في الفقه المقارن عام (١٤٠٠هـ)ثم حصلت على الدكتوراه من الجامعة الإسلامية في كلية الشريعة. وقبل حصولي على

الماجستير طلب مني شيخنا الشيخ عبد المحسن العباد البدر أن أُدَرِّس العقيدة في كلية الحديث وكلية الدعوة وأصول الدين عام (١٣٩٩هـ) إلى أن حصلت على الدكتوراه وعينت أستاذ مساعد بكلية الشريعة بعد الحصول على الدكتوراه مباشرة ثم من عام (١٤٠٣هـ) إلى عام (١٤٠٦هـ) أُسندت إليّ رئاسة قسم الفقه ثم نقلت إلى كلية الدعوة وأصول الدين بناءاً على قرار مجلس كلية الشريعة وكلية الدعوة والذي اعتمد من مجلس الجامعة لأكون عضو هيئة تدريس في قسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين وفي عام (١٤١٠هـ) حصلت على درجة أستاذ مشارك ومن عام (١٤١٥هـ) إلى عام (١٤٢١هـ) كلفت برئاسة قسم العقيدة وبعد أن أحلت على التقاعد عام (١٤٢٦هـ) كلفت من قبل معالي وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالعمل موجهاً للدعاة بفرع الوزارة بالمدينة النبوية وما زلت أقوم بهذا العمل، ومن عام (١٣٩٥هـ) وحتى هذا العام (١٤٣٤هـ) أعمل مع أعضاء التوعية بالحج بالمدينة النبوية والمشاعر المقدسة.

وقد التقيت مراراً بالشيخ محمد ناصر الدين الألباني بالمدينة النبوية ومكة وعمَّان وقد أخذت من علمه إضافة إلى الإستفادة من كتبه، ومن عام (١٤٠٣هـ) وحتى هذا العام (١٤٣٤هـ) وأنا أدرس بالمسجد النبوي، وأثناء عملي بالجامعة استفدت من بعض مشايخنا استفادة خاصة، وعلى رأسهم الشيخ عبد المحسن البدر والشيخ محمد

أمان الجامي والشيخ حماد الأنصاري والشيخ ربيع المدخلي والشيخ علي ناصر فقيهي والشيخ عمر محمد فلاته والشيخ أبو بكر الجزائري والشيخ عبد القادر شيبة الحمد.

ونذكر هنا بعض مؤلفاته حفظه الله:

- كتاب تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار.
- كتاب منهج السلف في العقيدة وأثره في وحدة المسلمين.
- شرح المنظومة النونية للقحطاني.
- المشاركة في إعداد كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة الذي أعدَّهُ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف.
- إعداد مذكرة في العقيدة للدورات التدريبية.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أصـــول السـنة

قـال الشـيخ الإمـام أبـو القاسـم هبـة اللـه بن الحسـن بـن منصور اللالكائي:

أخبرنـا علي بن محمد بن عبد الله السـكري، قـال: حدثنا عثمان بن أحمـد بـن عبدالله بن بريـد الدقيقي، قـال: حدثنا أبو محمد الحسـن بن عبد الوهاب أبو العنبر قراءة عليه من كتابه في شـهر ربيع الأول من سـنة ثلاث وتسـعين ومائتين، قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن سليمان المنقري البصري - بتنِّيس - قال: حدثني عبدوس بن مالك العطار،

قـال: سـمعت أبا عبـد الله أحمد بـن محمد بن حنبـل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: أصول السنة عندنا:

التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والإقتداء بهم، وترك البـدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وتـرك الخصومات، وترك الجلوس مع أصحـاب الأهـواء، وتـرك المـراء والجـدال والخصومـات فـي الدين.

والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ، والسنة تفسر القرآن، وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء، إنما هو الاتباع وترك الهوى.

ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة - لم يقبلها ويؤمن بها - لم يكن من أهلها:

الإيمان بالقدر خيرهُ وشرهُ، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يُقال لِمَ ولا كيف، إنما هو التصديق والإيمان بها،

ومـن لم يعـرف تفسـير الحـديث ويبلغه عقلـه فقـد كُـفِيَ ذلك وأُحـكِمَ له، فعليـه الإيمـان به والتسليـم له،

مثـــل حديـــث «الصادق المصـدوق» ومثل ما كان مثلـه في القدر، ومثـل أحاديـث الرؤية كلها، وإن نبت عن الأسـماع واسـتوحش منها المسـتمع، وإنما عليه الإيمان بها، وأن لا يـرد منها حرفاً واحداً، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات.

وأن لا يخاصم أحداً ولا يناظره، ولا يتعلم الجدال.

فـإن الكلام فـي القدر والرؤيـة والقرآن وغيرها من السـنن مكروه ومنهي عنه، لا يكون صاحبه و إن أصاب بكلامه السـنة من أهل السنة حتى يدع الجدال ويسلم ويؤمن بالآثار.

والقـرآن كلام اللـه وليـس بمخلـوق، ولا يضعـف أن يقـول: ليس بمخلــوق، فـإن كلام اللـه ليس ببائن منـه، وليس منه شـيء مخلـوق،

وإياك ومناظرة من أحدث فيه، ومن قال باللفظ وغيره، ومن وقف فيه، فقال: لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق، وإنما هو كلام الله فهذا

صاحب بدعة مثل من قال: هو مخلوق، وإنما هو كلام الله وليس بمخلوق.

والإيمـان بالرؤية يوم القيامة، كما روي عن النبي ﷺ من الأحاديث الصحاح،

وأن النبي ﷺ قد رأى ربه، فإنه مأثور عن رسـول الله ﷺ، صحيح، رواه قتـادة، عـن عكرمـة، عن ابن عبـاس؛ ورواه الحكم بـن أبان، عن عكرمـة، عن ابن عبـاس ؛ ورواه علي بن زيد، عن يوسـف بن مهران، عـن ابن عباس، والحديـث عندنا على ظاهره كما جـاء عن النبي ﷺ، والكـــلام فيه بدعـــة، ولكن نؤمن كما جـاء علـى ظاهره، ولا نناظـر فيه أحداً.

والإيمـان بالميـزان يوم القيامة كما جـاء، يوزن العبد يـوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة، وتوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر، والإيمان به، والتصديق به، والإعراض عن من ردّ ذلك، وتركُ مجادلته.

وأن اللـه تبـارك وتعالى يكلم العبـاد يوم القيامة، ليـس بينهم وبينه ترجمان، والإيمان به والتصديق به.

والإيمان بالحوض، وأن لرسول الله ﷺ حوضا يوم القيامة تَرِدُ عليه أمته، عرضه مثل طوله، مسيرة شهر، آنيته كعدد نجوم السماء على ما صحت به الأخبار من غير وجه.

والإيمان بعذاب القبر، وأن هذه الأمة تُفتَن في قبورها، وتُسأل عن الإيمان والإسلام، ومن ربه ؟ ومن نبيه ؟

ويأتيه منكر ونكير، كيف شاء الله عزوجل، وكيف أراد، والإيمان به والتصديق به.

والإيمان بشفاعة النبي ﷺ، وبقوم يخرجون من النار بعد ما احترقوا وصاروا فحماً، فيؤمر بهم إلى نهر على باب الجنة كما جاء في الأثر، كيف شاء الله، و كما شاء، إنما هو الإيمان به، والتصديق به.

والإيمـان أن المسـيح الدجـال خـارج، مكتـوب بـين عينيـه كافـر، والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأن ذلك كائن،

وأن عيسى ابن مريم عليه السلام ينزل فيقتله بباب لُدٍّ.

والإيمـان قـول وعمـل، يزيـد وينقص، كما جـاء في الخبـر: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً**».

ومـن ترك الصـلاة فقد كفر، وليس من الأعمال شـيء تركه كفر إلا الصلاة، من تركها فهو كافر، وقد أحل الله قتلهُ.

وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، نُقدّم هؤلاء الثلاثة كما قدمهم أصحاب رسول الله ﷺ، لم يختلفوا في ذلك،

ثـم بعـد هـؤلاء الثلاثـة أصحاب الشـورى الخمسـة: علي بـن أبي طالـب، وطلحـة، والزبيـر، وعبدالرحمـن بن عـوف، وسـعد، كلهم يصلـح للخلافة، وكلهم إمـام، ونذهب في ذلك إلى حديث ابن عمر: (كنا نعُـدُّ ورسـول الله حي وأصحابه متوافرون: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نسكت).

ثم من بعد أصحاب الشـورى أهل بدر مـن المهاجرين، ثم أهل بدر من الأنصار من أصحاب رسـول الله ﷺ على قدر الهجرة والسـابقة، أولاً فـأولا، ثـم أفضـل الناس بعد هـؤلاء أصحاب رسـول الله ﷺ، القرن الذي بعث فيهم.

وكل من صحبه سنةً أو شهراً أو يوماً أو ساعةً، أو رآه فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه، ونظر إليه نظرةً، فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه، ولو لقوا الله بجميع الأعمال، كان هؤلاء الذين صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم ورأوه وسمعوا منه، ومن رآه بعينه وآمن به ولو ساعة، أفضل لصحبتهم من التابعين، ولو عملوا كل أعمال الخير.

والسـمع والطاعـة للأئمـة وأمير المؤمنـين البَرّ والفاجـر، ومن ولي الخلافـة، واجتمع الناس عليه، ورضوا به، ومن غَلَبَهم بالسـيف حتى صار خليفة، وسمي أميرالمؤمنين.

والغزو ماض مع الأمراء إلى يوم القيامة البَرّ والفاجر لا يُترَك.

وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الأئمة ماضٍ، ليس لأحد أن يطعن عليهم، ولا ينازعهم، ودفع الصدقات إليهم جائزة نافذة، من دفعها إليهم أجزأت عنه، بَرّاً كان أو فاجراً.

وصـلاة الجمعة خلفـه وخلف مـن ولاه، جائزة باقيـة تامة ركعتين، من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار، مخالف للسـنة، ليس له من فضل الجمعة شيء؛ إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة من كانوا برهم وفاجرهم، فالسـنة: أن يصلي معهم ركعتين، ويدين بأنها تامة، لا يكن في صدرك من ذلك شك.

ومـن خرج علـى إمام من أئمة المسـلمين وقـد كانوا اجتمعـوا عليه وأقـروا لـه بالخلافة، بأي وجـه كان، بالرضـا أو بالغلبة فقد شـق هذا الخـارج عصا المسـلمين، وخالف الآثار عن رسـول اللـه ﷺ فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية.

ولا يحـل قتال السـلطان، ولا الخروج عليه لأحد مـن الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق.

وقتال اللصوص والخوارج جائز، إذا عرضوا للرجل في نفسه وماله فله أن يقاتل عن نفسـه وماله، ويدفع عنهما بكل ما يقدر، وليس له إذا فارقـوه أو تركوه أن يطلبهم، ولا يتبع آثارهم، ليس لأحد إلا الإمام أو ولاة المسلمين، إنما له أن يدفع عن نفسه في مقامه ذلك، وينوي بِجَهدِهِ أن لا يقتل أحداً،

فإن أتى على بدنه في دفعه عن نفسه في المعركة فأبعد الله المقتول، وإن قُتِل هذا في تلك الحال وهو يدفع عن نفسه وماله، رجوت له الشهادة، كما جاء في الأحاديث وجميع الآثار في هذا إنما أُمِر بقتاله، ولم يُؤمَر بقتله ولا اتباعه،

ولا يجهـز عليه إن صُـرِع أو كان جريحا، وإن أخذه أسـيرا فليس له أن يقتله، ولا يقيم عليه الحد، ولكن يرفع أمره إلى من ولاه الله، فيحكم فيه.

ولا نشهد على أحد من أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار، نرجو للصالح ونخاف عليه، ونخاف على المسيء المذنب، ونرجو له رحمة اللّه.

ومن لقى الله بذنب يجب له به النار تائباً غير مُصرٍّ عليه، فإن الله يتوب عليه، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ومن لقيه وقد أقيم عليه حد ذلك الذنب في الدنيا، فهو كفارته، كما جاء في الخبر عن رسول الله ﷺ، ومن لَقِيَه مُصِرّاً غير تائب من الذنوب التي قد استوجب بها العقوبة فأمره إلى الله، إن شاء عذّبه، وإن شاء غفر له، ومن لَقِيَه من كافر عذّبه ولم يغفر له.

والرجـم حق علـى من زنا وقد أُحصـن، إذا اعتـرف أو قامت عليه بيّنة، فقد رجم رسول الله ﷺ والأئمة الراشدون.

ومن انتقص أحداً من أصحاب رسـول اللـه ﷺ، أو أبغضه بحدث كان منـه، أو ذكـر مسـاوئه، كان مبتدعاً، حتـى يترحم عليهـم جميعاً، ويكون قلبه لهم سليماً.

والنفاق هو: الكفر، أن يكفر بالله ويعبد غيره، ويُظهِر الإسلام في العلانية، مثل المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ.

وَهذه الأحاديث التي جاءت: «**ثلاث من كن فيه فهو منافق**» هذا على التغليظ، نرويها كما جاءت، ولا نفسرها.

وقولـه ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفـارا ضُلالا يضرب بعضكم رقاب بعـض**» ، ومثل: «**إذا التـقى المسـلمان بسـيفيهما، فالقاتـل والمقتـول في النـار**»، ومثل: «**سـبـاب المسـلـم فسـوق، وقتـالـه كفـر**»، ومثل: «**من قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما** »، ومثل: «**كُفـرٌ بالله تَبَرؤٌ من نَسَبٍ وإن دَقّ** »،

ونحو هذه الأحاديث مما قد صح وحُفِظ، فإنّا نُسَلم له، وإن لم نعلم تفسيرها، ولا نتكلم فيها، ولا نجادل فيها، ولا نفسّر هذه الأحاديث إلا مثل ما جاءت، لا نردها إلا بأحق منها.

والجنـة والنـار مخلوقتان قد خُلقتـا، كما جاء عن رسـول الله ﷺ: «**دخلـتُ الجنة فرأيت قصـراً...**»، و «**رأيت الكوثـر**»، و «**واطلعت في الجنـة، فرأيت أكثر أهلها...**»كذا، «**واطلعـت في النار، فرأيت**»... كذا وكذا، فمن زعم أنهما لم تُخلقا، فهو مكذّب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ، ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار.

ومـن مـات من أهل القبلـة مُـوَحِـداً يُصلّى عليه، ويُسـتغفر له، ولا يُحجب عنه الاسـتغفار، ولا تترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيراً كان أو كبيراً، أَمـرُهُ إلى الله تعالى.

آخر الرسالـــة والحمـد لله وحـــده وصلواتـــه على محمـد وآله وسلم تسليماً.

شرح حديث
«ما ذئبان جائعان»
ويسمى كذلك بـ
ذم المـــال والجـــاه

للحافظ زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي

رحمه الله

(٧٣٦هـ - ٧٩٥هـ)

ترجمة موجزة للحافظ ابن رجب رحمه الله

١-اسمه ونسبه وكنيته:

هو الحافظ زين الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن أحمد بن عبدالرحمن بن الحسن، السلامي، البغداديُّ، ثمّ الدِّمَشقيُّ، المعروف بابن رجب الحنبلي، نسبةً إلى جدِّه الشيخ عبدالرحمن بن الحسن حيثُ ولد في شهر رجب فصار لقباً له.

٢-مولده:

اتفقت المصادر أنه ولد رحمه الله بمدينة بغداد، في شهر ربيعٍ الأول سنة ستٍّ وثلاثين بعد السبعمائة[١].

٣- نشأته العلمية:

نشأ الحافظُ ابنُ رجب في بيت علم وفضل، فَجَدُّه عبدالرحمن ابن الحسن المعروف بـ: (رجب)، كان من أهل العلم ببغداد، وكان الناس يقرؤون عليه الحديث، قال الحافظ ابن حجر: (سمع ثلاثيات البخاري من ابن المالحاني عن القطيعي، وحدَّثَ بها، وسَمِعَ من المعيد بن المحلح وابن عزال وغيرهما وكان يُقْرِئُ حِسْبَةً...)[٢].

(١) وذكر الحافظ في الدرر الكامنة (٣/ ١٠٨) أنه توفي سنة ست وسبعمائة، وتعقبه الدكتور ماهر الفحل بقوله: «ولعله سبق قلم من الناسخ» «مقدمة جامع العلوم والحكم».
(٢) الدرر الكامنة لابن حجر (٢/ ٢٣٦).

وأما والده فهو شهاب الدين الشيخ المقرئ أحمد بن رجب، تعلم القراءات واشتغل بإقرائها، وأكثر السماع عن الشيوخ حتى صنَّف لنفسه مشيخةً ترجم فيها لمشايخه.

بدأ الحافظ ابن رجب بطلب العلم وهو في سنٍّ مبكِّرة؛ فقال حين ذكر شيخه أبا الربيع علي بن الصمد البغدادي: (قراءةً عليه، وأنا في الخامسة) [١]، وقال كذلك عندما ترجم لشيخه عبد الرحيم بن عبد الله الزريراني المتوفى سنة (٧٤١هـ): (وحضرت درسه وأنا إذ ذاك صغيرٌ لا أحقه جيدًا) [٢].

ثُم انتقل به والده إلى دِمَشق وهو صغير السِّن؛ سنة أربع وأربعين وسبعمائة[٣]، فسمع من كبار المحدثين والعلماء فيها، ورافق الحافظ زين الدين العراقي في السماع كثيرا[٤]، ولزم كذلك في دمشق شيخه ابن القيم الجوزية إلى أن مات ابن القيم سنة (٧٥١ هـ).

٤ - عقيدته:

مما لاشك فيه أنه رحمه الله كان إماماً من أئمة السلف -رحمهم الله- في العقيدة، فكان مصدره في تقريرها كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ١٥١).
(٢) المصدر السابق (٥/ ١٠٥).
(٣) شذرات الذهب لعبدالحي العكري (٨/ ٥٧٩).
(٤) إنباه الغُمر لابن حجر (١/ ٤٦٠).

مُقَدِّماً في ذلك فهم سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من الأئمة وعلماء أهل السنة على فهم غيرهم.

ولا أدَلَّ على ذلك من تصانيفه وأقواله المتكاثرة والمبثوثة في كُتُبه، ومنها قوله رحمه الله في كتابه « فضل علم السلف على الخلف»: (...والصواب ما كان عليه السلف الصالح من إمرار آيات الصفات وأحاديثها من غير تفسير لها، ولا تكييف، ولا تمثيل...).

٥- ثناء العلماء عليه:

قال ابن حجي: (أتقن الفنّ، وصار أعرف أهل عصره بالعلل، وتتبع الطرق)[١].

وقال ابن حجر: (مَهَر في فنون الحديث: أسماءً، ورجالاً، وعللاً، وطُرُقاً، واطلاعاً على معانيه)[٢].

وقال ابن قاضي شهبة: (كتب وقرأ وأتقن الفن، واشتغل في المذهب حتى أتقنه، وأكبَّ على الاشتغال بمعرفة متون الحديث، وعلله، وتتبع الطرق)[٣].

---

(١) إنباء الغمر لابن حجر (ص٤٦١).

(٢) المصدر السابق (ص٤٦٠).

(٣) تاريخ ابن قاضي شهبة (٣/ ٩٥) بواسطة مقدمة مجموع رسائل ابن رجب لطلعت الحلواني.

وقال تقيُّ الدين ابن فهد الهاشمي: (الإمام، الحافظ، الحُجة، والفقيه، العُمدة، أحد العلماء الزهاد، والأئمة العباد، مُفيد المحدثين، واعظ المسلمين)[١].

وقال القاضي علاء الدين ابن اللَّحام: (شيخنا، الإمام، العالم، الحافظ، بقية السلف الكِرام، وحيد عصره، وفريد دهره، شيخ الإسلام)[٢].

وقال ابن العماد: (الإمام، العالم، العلامة، الزاهد، القدوة، البركة، الحافظ، العمدة، الثقة، الحجة، الحنبليُّ المذهب)[٣].

٦- أبرز شيوخه:

- جَدُّه عبدالرحمن الملقب بـ (رجب) بن الحسن السلامي، فقد ذكر أنه حضر مجالسه [٤].
- شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، سمعه في دمشق ولازمه.
- عماد الدين أحمد بن عبد الهادي بن يوسف المقدسي.

---

(١) لحظ الألحاظ (ص١١٨).
(٢) الجوهر المنضد ليوسف بن عبدالهادي (ص٤٧).
(٣) شذرات الذهب (٨/ ٥٧٩).
(٤) ذيل طبقات الحنابلة (٣/ ٤٥٨).

- أبـو العبـاس أحمد بن الحسـن بن عبـد الله المشـهور بابن قاضي الجبل.
- جمال الدين داود بن إبراهيم العطَّار.
- جمال الدين يوسـف بن عبد الله المقدسي النابلسي، وذكر أنه قرأ عليه سنن ابن ماجه بدمشق[1].
- أبو محمد ابن هشام الأنصاري، وغيرهم كثير.

٧- أبـرز تلاميـذه:

- عـلاء الديـن علـي بـن محمد بـن عبـاس البعلـي، الشـهير بابن اللَّحام.
- الشهاب أحمد بن أبي بكر بن سيف الدين الحموي المعروف بابن الرسام.
- محب الدين أحمد بن نصر الله بن أحمد مفتي الديار المصرية.
- زيـن الدين عبـد الرحمن بن محمد بن عبد اللـه المصري الحنبلي المعروف بالزركشي.
- شـمس الدين محمد بن أحمد بن سعيد المقدسي الحنبلي، قاضي مكة.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٣٠٥).

- شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الأنصاري الحلبي الشحام.
- عز الدين محمد بن بهاء الدين علي المقدسي الحنبلي، وغيرهم كثير.

٨- وفاته رحمه الله:

توفي رحمه الله سنة خمس وتسعين بعد السبعمائة.

٩- أشهر مصنفاته:

قد برع الحافظ ابن رجب رحمه الله في التصنيف والتأليف، وكتب في غالب مجالات الفنون والعلم، وتجاوز عدد كتبه السبعين كتابا، وكتب الله تعالى لها الانتشار والذيوع بالأفاق، ومن أبرزها:

- شرح جامع الترمذي، وقد احترق معظمه زمن فتنة التتر ولم يبق منه إلا قطعة يسيرة.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، وقد بلغ فيه إلى كتاب الجنائز، قال ابن عبد الهادي: (وشرح قطعة من البخاري إلى كتاب الجنائز وهي من عجائب الدهر، ولو كَمُل كان من العجائب) [1].

---

(١) الجوهر المنضد (ص٥٠).

- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم.
- شرح علل الترمذي.
- لطائف المعارف.
- فضل علم السلف على علم الخلف.
- التوحيد، ويُسمَّى: كلمة الإخلاص.
- المحجة في سير الدلجة.
- شرح حديث (ما ذئبان جائعان) ويسمى كذلك (ذم المال والجاه) وهو الذي سيُشرح في دورتنا هذه.
- التخويف من النار.
- ذمُّ قسوة القلب.
- التخويف من النار، وغيرها كثير من المصنفات العديدة النافعة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام بقية السلف الكرام زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن ابن الشيخ الإمام العالم العلامة شهاب الدين أحمد ابن الشيخ الإمام العالم العلامة ابن رجب البغدادي الحنبلي رحمه الله:

الحمـد للـه رب العالمـين، وصلى الله علـى نبينا محمـد وعلى وآله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

خرَّج الإمام أحمد والنسائي والترمذي وابن حبان في صحيحه من حديـث كعب بن مالك الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عـن النبي ﷺ قال: «**ما ذئبان جائعان أُرسـلا في غنمٍ بأفسـد لها من حرص المرء على المال والشـرف لدينه**». قال الترمذي: حسنٌ صحيح.

وروي من وجه آخر عن النبي ﷺ من حديث ابن عمر، وابن عباس، وأبي هريرة، وأسامة بن زيد، وجابر، وأبي سعيد الخدري، وعاصم بن عدي الأنصاري رضي الله عنهم أجمعين.

وقد ذكرتها كلها مع الكلام عليها في كتاب «شرح الترمذي».

ولفظ حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ما ذئبان جائعان ضاريان في غنم قد غاب عنها رعاؤها بأفسد فيها من التماس الشرف والمال لدين المؤمن**».

وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**حب المال والشرف**» بدل «**الحرص**».

فهـذا مثل عظيم جداً ضربه النبي ﷺ لفسـاد دين المسـلم بالحرص على المال والشـرف في الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنـم بذئبـين جائعين ضاريين باتا فـي الغنم، وقد غـاب عنها رعاؤها ليلاً، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها.

ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليل، فأخبر ﷺ أن حرص المرء على المال والشرف إفسادٌ لدينه ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم، بل إما أن يكون مساوياً وإما أكثر، يشير إلى أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل كما أنه لا يسلم من الغنم مع إفساد الذئبين المذكورين فيها إلا القليل.

فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف في الدنيا.

فأما الحرص على المال فهو على نوعين:

أحدهما: شدة محبة المال مع شدة طلبه من وجوهه المباحة، والمبالغة في طلبه والجد في تحصيله واكتسابه من وجوهه مع الجهد والمشقة.

وقد ورد أن سبب الحديث كان وقوع بعض أفراد هذا النوع، كما أخرجه الطبراني من حديث عاصم بن عدي، قال: اشتريت مائة سهم من سهام خيبر، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: « **ما ذئبان ضاريان ظلا في غنم أضاعها ربها بأفسد من طلب المسلم المال والشرف لدينه**».

ولو لم يكن في الحرص على المال إلا تضييع العمر الشريف الذي لا قيمة له، وقد كان يمكن صاحبه اكتساب الدرجات العلى والنعيم المقيم، فضيعه بالحرص في طلب رزق مضمون، مقسوم لا يأتي منه إلا ما قُدِّر وقُسم، ثم لا ينتفع به؛ بل يتركه لغيره ويرتحل عنه، ويبقى حسابه عليه ونفعه لغيره، فيجمعُ لمن لا يحمده، ويُقْدِمُ على من لا يعذره، لكفى بذلك ذماً للحرص.

فالحريص يضيع زمانه الشريف، ويخاطر بنفسه التي لا قيمة لها في الأسفار وركوب الأخطار؛ لجمع مال ينتفع به غيره.

كما قيل:

ومن ينفــق الأيـام في جمـع مالــه
مخــافـة فقــر فالذي فعــل الفقـر

قِيـل لبعض الحكمـاء: إن فلاناً جمـع مالاً. فقال: فهـل جمع أياماً ينفقه فيها؟ قيل: لا. قال: ما جمع شيئاً.

وفي بعض الآثار الإسـرائيلية: الرزق مقسـوم والحريص محروم، ابن آدم، إذا أفنيت عمرك في طلب الدنيا، فمتى تطلب الآخرة؟!

إذا كنـت في الدُّنيا عن الخير عاجزاً
فمـا أنـت في يـوم القيـامة صانــعُ

قـال ابن مسـعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (اليقـين أن لا تُرضي الناس بسـخط اللّه، ولا تحسـد أحـداً علـى رزق اللّه،ولا تلـم أحداً على ما لـم يؤتك اللّه، فإن رزق اللّه لا يسـوقه حرص حريـص ولا يرده كراهة كاره، فإن الله بقسـطه وعلمـه جعل الروح والفرح في اليقـين والرضى، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط).

وقال بعض السـلف: (إذا كان القدر حقاً فالحرص باطل، وإذا كان الغدر في الناس طباعاً فالثقة بكل أحد عجز، وإذا كان الموت لكل أحد راصداً فالطمأنينة إلى الدنيا حمق).

كان عبدُ الواحد بن زيد يحلف باللّه: (لحرص المرء على الدنيا أخوف عليه عندي من أعدى أعدائه).

وكان يقول: (يا إخوتاه، لا تغبطوا حريصاً على ثروة ولا سعة في مكسب ولا مال، وانظروا إليه بعين المقت له في فعلِهِ، وبعين الرحمة له في اشتغاله اليوم بما يرديه غداً في المعاد؛ ثم يبكي.

ويقول: الحرص حرصان: حرصٌ فاجعٌ، وحرصٌ نافعٌ؛ فأما النافع: فحرص المرء على طاعة اللّه.

وأما الفاجع: فحرص المرء على الدنيا، مشغول معذب لا يسر ولا يلتذ بجمعه لشغله، ولا يفرغ من محبته الدنيا لآخرته، كذلك وغفلته عما يدوم ويبقى).

وأنشد بعضهم في هذا المعنى فقال:

لا تغبطن أخا حرص على سعةٍ
وانظر إليه بعين الماقت القالي
إنَّ الحريص لمشغول بشقوته
عن السرور بما يحوي من المال

وقال آخر:

يا جامــعاً مانــعاً والدهــرُ يرمــقهُ
مفكــراً أيُّ بــاب منــه يغلقــــهُ
جمــعت مالاً ففكـر هل جمعتَ له
يا جــامعَ المــال أيــاما تفــرقهُ
المــال عنــدك مخــزون لوارثــه
ما المــال مــالك إلا يــوم تنفقــهُ
إن القنــاعة من يحــلل بساحتــها
لم يلقَ في ظلــها هــما يؤرقــه

كتـب بعض الحكماء إلى أخ له كان حريصـاً على الدنيا: (أما بعد؛ فإنـك أصبحـت حريصاً على الدنيا، تخدمها وهي تزجرك عن نفسـها بالأعراض والأمراض والآفات والعلل، كأنك لم تر حريصاً محروماً، ولا زاهداً مرزوقاً، ولا ميتاً عن كثير، ولا متبلغاً من الدنيا باليسير).

عاتـب أعرابي أخـاه على الحرص، فقال له: (يـا أخي، أنت طالب ومطلـوب، يطلبك من لا تفوتـه وتطلب أنت من قد كُفيته، يا أخي ألم تر حريصاً محروماً وزاهداً مرزوقاً ؟!).

وقال بعض الحكماء:(أطول الناس غماً الحسـود، وأهنؤهم عيشـاً القنـوع، وأصبرهم علـى الأذى الحريص، وأخفضهم عيشـاً أرفضهم للدنيا، وأعظمهم ندامة العالم المفرط).

وأنشد بعضهم في ذم الحرص على الدنيا:

الحـرص داء قـد أضـر بمـن تـرى إلا قليـلاً
كـم من عـزيز قـد صيـره الحـرص ذليـلاً

ولغيره:

كـم أنـت للحـرص والأمـاني عبـد
ليـس يجـدي الحـرص والسـعي إذا لم يكـن جـد
ليـس لمـا قـدر الله مـن الأمـر بـد

ولأبي العتاهية يخاطب سَلْماً الخاسر:

تعالـــى الله يا سلـم بن عمرو
أذل الحـرص أعنـاق الرجـال

ومن كلام المأمون: الحرص مَفْسَدَةُ الدين والمروءة.

وأنشد شعراً:

حـرص الحريـص جنـون والصبـر حصـن حصـين
إن قـدر اللـه شـيئاً لا بـد مـن أن يكـون

وأنشد غيره:

حـــتى متى أنا في حـــل وترحـال
وطـــول سعـــى وإدبـار وإقبـال
ونـــازح الدار لا أنفـــك مغتـرباً
عن الأحبـــة لا يدرون ما حـالي
بمشرق الأرض طوراً ثم مغـــربها
لا يخطر الموت من حرصي على بالي
ولو قنـعت أتاني الرزق في دعـة
إن القُنُـوع الغنى لا كثـرة المال

ولمحمود الوراق:

أيهـا المتعـب جـهداً نفـسه
يطلـب الدنيا حريصـاً جاهداً
لا لك الدنـيا ولا أنـت لـها
فاجعـل الهـمين هـماً واحداً

النوع الثاني من الحرص على المال:

أن يزيد على ما سبق ذكره في النوع الأول، حتى يطلب المال من الوجوه المحرمة ويمنع حقوقه الواجبة، فهذا من الشح المذموم.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩].

وفي سنن أبي داود عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**اتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا**».

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**أتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم**».

قال طائفة من العلماء: الشح هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على أن يأخذ الأشياء من غير حلها ويمنعها حقوقها.

وحقيقته شَرَهُ النفس إلى ماحرم الله وَمَنَعَ منه، وأن لا يقنع الإنسان بما أحل الله له من مال أو فرج أو غيرهما، فإن الله تعالى أحل لنا الطيبات من المطاعم والمشارب، والملابس والمناكح وحرم علينا تناول هذه الأشياء من غير وجوه حلها، وأباح لنا دماء الكفار والمحاربين وأموالهم، وحرم علينا ما عدا ذلك من الخبائث من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرم علينا أخذ الأموال وسفك الدماء بغير حلها.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فمن اقتصر على ما أُبيح له فهو مؤمن، ومن تعدى ذلك إلى ما مُنع منه فهو الشح المذموم، وهو مناف للإيمان.

ولهذا أخبر النبي ﷺ أن الشح يأمر بالقطيعة والفجور وبالبخل.

والبخل: هو إمساك الإنسان ما في يده.

والشح: تناول الإنسان ما ليس له ظلماً وعدواناً من مال أو غيره، حتى قيل: إن المعاصي كلها من الشح.

وبهذا فسّر ابن مسعود وغيره من السلف الشح والبخل.

ومـن هنا يُعلم معنى حديث أبي هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**لا يجتمع الشح والإيمان في قلب مسلم**».

والحديـث الآخـر عـن النبي ﷺ أنـه قـال: «**أفضل الإيمـان الصبر والسماحة**».

وفسر الصبر: بالصبر عن المحارم، والسماحة: بأداء الواجبات.

وقـد يسـتعمل الشُـح بمعنى البخـل وبالعكـس، لكـن الأصل هو التفريق بينهما على ما ذكرناه.

ومتـى وصـل الحـرص على المـال إلى هـذه الدرجة، نقـص بذلك الديـن والإيمان نقصاً بيناً فإنَّ مَنْـع الواجبات وتناول المحرمات ينقص بهما الدين والإيمان بلا ريب حتى لا يبقى منه إلا القليل جداً.

فصـــــــل

وأما حرص المرء على الشرف فهذا أشد هلاكاً من الحرص على المال فإن طلب شـرف الدنيا والرفعة فيها، والرياسـة على الناس والعلو في الأرض أضـر على العبـد من طلب المـال، وضرره أعظـم، والزهد فيه أصعب، فإن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف.

والحرص علي الشرف علي قسمين:

أحدهما: طلب الشرف بالولاية والسلطان والمال.

وهذا خطر جداً، وهو في الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها وكرامتها وعزها.

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣] .

وقلَّ من يحرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات فيوفق؛ بل يوكل إلى نفسه، كما قال النبي ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**يا عبدالرحمن، لا تسأل الإمارة فإنك إن أُعطيتها عن مسألة وُكِلْتَ إليها، وإنْ أُعطيتها من غير مسألة أُعِنْتَ عليها**».

قال بعض السلف:(ما حرص أحد على ولاية فعدل فيها).

وكان يزيد بن عبدالله بن موهب من قضاة العدل والصالحين، وكان يقول: (من أحب المال والشرف وخاف الدوائر لم يعدل فيها).

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة، وبئست الفاطمة**».

وفيه - أيضاً- عن أبي موسي الأشعري أن رجلين قالا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، أَمِّرْنا. قال: «**إنا لا نولي أمرنا هذا من سأله، ولا من حرص عليه**».

واعلم أن الحرص على الشرف بطلب الولايات يستلزم شراً عظيماً قبل وقوعه في السعي في أسبابه، وبعد وقوعه بالخطر العظيم الذي يقع فيه صاحب الولاية من الظلم والتكبر وغير ذلك من المفاسد.

وقد صنف أبو بكر الآجري - وكان من العلماء الربانيين في أوائل المائـة الرابعـة - مصنفاً فـي «أخلاق العلمـاء وآدابهم» وهـو من أجل مـا صنف فـي ذلك، ومـن تأمله علم منه طريقة السـلف مـن العلماء، والطرائـق التي حدثـت بعدهم، المخالفة لطريقتهـم، فوصف فيه عالم السوء بأوصاف طويلة.

منها أنه قال: (قد فتنه حب الثناء والشـرف والمنزلة عند أهل الدنيا، يتجمـل بالعلم كمـا يتجمل بالحلـة الحسـناء للدنيـا، ولا يُجَمِّل علمه بالعمل به).

وذكر كلامًا طويلاً إلى أن قال: (فهذه الأخلاق وما يشبهها تغلب على قلب من لم ينتفع بالعلم، فبينا هو مقارب لهذه الأخلاق إذ رغبت نفسه في حب الشرف والمنزلة، فأحب مجالسة الملوك وأبناء الدنيا، فأحب أن يشاركهم فيما هم فيه من رغد عيشٍ ومنزل بهي، ومركب هني، وخادم سري، ولباس لين، وفراش ناعم، وطعام شهي، وأحب أن يُعتنى به، وأن يُسمع قوله، ويُطاع أمره، فلم يقدر عليه إلا من جهة القضاء فطلبه، فلم يمكنه إلا ببذل دينه، فتذلل للملوك وأتباعهم، فخدمهم بنفسه، وأكرمهم بماله، وسكت عن قبيح ما ظهر من مناكيرهم على أبوابهم،

وفـي منازلهـم ومـن قولهـم وفعلهم، ثم زيـن لهم كثيـراً من قبيح فعلهـم بتأوله الخطأ ليحسـن موقعه عندهم، فلما فعـل هذا مدة طويلة واسـتحكم فيه الفسـاد وَلَّوْه القضـاء فَذُبِح بغير سـكين، فصارت لهم عليه منَّة عظيمة، ووجب عليه شكرهم، فألزم نفسه ذلك لئلا يغضبهم عليه فيعزلوه عن القضاء، ولم يلتفت إلى غضب مولاه، فاقتطع أموال اليتامـى والأرامل، والفقراء والمسـاكين، وأمـوال الوقف الموقوفة على المجاهديـن، وأهل الشـرف بالحرمين، وأموالاً يعـود نفعها على جميع المسـلمين، فأرضى بها الكاتب والحاجب والخادم، فأكل الحرام وأطعم الحرام وكثر الداعي عليه، فالويل لمن أورثه علمه هذه الأخلاق.

وهـذا العلم هو الذي اسـتعاذ منـه النبي ﷺ وأمر أن يسـتعاذ منه، وهذا العالـم الذي قال فيه النبي ﷺ: «**إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة، عالم لم ينفعه الله بعلمه**».

وكان ﷺ يقـول: «**اللهم إنـي أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع**».

وكان عليه السلام يقـول: «**اللهـم إنى أسـألك علماً نافعـاً، وأعوذ بك من علم لا ينفع**».

هـذا كلـه كلام الإمـام أبـي بكـر الآجـري رحمه الله، وكان فـي أواخر الثلاثمائة، ولـم يزل الفسـاد متزايداً على مـا ذكرناه أضعافاً، مضاعفة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ومـن دقيـق آفات حب الشـرف طلـب الولايات والحـرص عليها، وهـو باب غامض لا يعرفه إلا العلماء بالله، والعارفون به، المحبون له، الذيـن يُعَادُون له ويحبون فيه، مع حقارتهـم عند الناس، وهم خواص عباده الذين يُعَادَون له من جهال خلقه، المزاحمون لربوبيته وإلهيته، مع حقارتهم وسقوط منزلتهم عند الله، وعند خواص عباده العارفين به.

كمـا قـال الحسـن رحمه الله فيهـم: (إنهـم وإن طقطقـت بهـم البغـال وهملجـت بهـم البراذين فإن ذل المعصيـة في رقابهم، أبـى الله إلا أن يذل من عصاه).

واعلم أن حب الشـرف بالحرص على نفوذ الأمر والنهي وتدبير أمر النـاس، إذا قصد بذلك مجـرد علو المنزلة على الخلـق والتعاظم عليهم، وإظهار صاحب هذا الشـرف حاجة الناس إليه وافتقارهم إليه، وذلهم له فـي طلب حوائجهم منه، فهذا نفسـه مزاحمة لربوبيـة الله وإلهيته، وربما تسبب بعض هؤلاء إلى إيقاع الناس في أمر يحتاجون فيه إليه؛ ليضطرهم بذلك إلى رفع حاجاتهم إليه، وظهور افتقارهم واحتياجهم إليه، ويتعاظم بذلك ويتكبر به، وهذا لا يصلح إلا لله وحده لا شريك له.

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤].

وفي بعض الآثار إن الله تعالى ليبتلي عبده بالبلاء ليسمع تضرعه.

وفي الآثار -أيضاً- أن العبد إذا دعا الله تعالى وهو يحبه قال الله: «يا جبريل، لا تعجل بقضاء حاجته، فإني أحب أن أسمع تضرعه».

فهذه الأمور أصعب وأخطر من مجرد الظلم، وأدهى من الشرك، والشرك أعظم الظلم عند الله.

وفـي الصحيح عـن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول اللـه تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني فيهما عذبته**».

كان بعض المتقدمين قاضياً، فرأى في منامه كأن قائلاً يقول له: أنت قاض، والله قاض. فاستيقظ منزعجاً، وخرج عن القضاء وتركه.

وكان طائفـة مـن القضـاة الورعـين يمنعـون النـاس أن يدعوهـم بـ «قاضي القضاة»، فإن هذا الاسـم يشبه ملك الملوك الذي ذم النبي ﷺ التسمية به.

وقال: «**لا ملك إلا الله**».

و«حاكم الـحُكَّام» مثله، أو أشد.

ومن هذا الباب أيضاً أن يحب ذو الشـرف والولاية أن يُحمد على أفعاله ويُثنى عليه بها، ويطلب من الناس ذلك، ويتسـبب في أذى من لا يجيبه إليه، وربما كان ذلك الفعل إلى الذم أقرب منه إلى المدح، وربما أظهـر أمراً حسـنًا في الظاهـر، وأحب المدح عليه وقصـد به في الباطن شراً، وقصد تمويه ذلك وترويجه على الخلق.

وهـذا يدخـل فـي قولـه تعالـى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

فـإن هـذه الآية إنمـا أنزلت فيمن هـذه صفاته، وهذه صفـةٌ - أعني طلـب المدح من الخلق ومحبته والعقوبة علـى تركه - لا تصلح إلا لله وحده لا شريك له، ومن هنا كان أئمة الهدى ينهون عن حمدهم على عدلهـم ومـا يصدر منهم من الإحسـان إلـى الخلق، ويأمـرون بإضافة الحمد على ذلك لله وحده لا شريك له، فإن النِّعم كلها منه.

وكان عمـر بن عبـد العزيز رحمه الله شـديد العناية بذلـك، وكتب مرة إلى أهل الموسـم كتاباً يُقرأ عليهم، وفيه الأمر بالإحسـان إليهم، وإزالة المظالم التي كانت عليهم، وفي الكتاب: (ولا تحمدوا على ذلك كله إلا الله، فإنه لو وَكَلَنِي إلى نفسي كنت كغيري....).

وحكايته مع المرأة التي طلبت منه أن يفرض لبناتها اليتامى مشهورة، فإنهـا كانت لها أربع بنات، ففرض لاثنتـين منهن، وهي تحمد الله، ثم فـرض للثالثة فشـكرته، فقـال: (إنما كنا نفرض لهـن حيث كنت تولين الحمد أهله، فَمُرِي هؤلاء الثلاث يواسين الرابعة). أو كما قال رضي الله عنه.

وحاصـل الأمر أن ذا الولاية إنما هو مُنْتَصِـبٌ لتنفيذ أمر الله، وآمرٌ العبـاد بطاعة اللـه تعالى، وناهٍ لهم عـن محارم الله، ناصـح لعباد الله بدعائهـم إلى الله، فهو يقصد أن يكون الدين كله لله، وأن تكون العزة لله وهو مع ذلك خائف من التقصير في حقـوق الله تعالى أيضاً.

فالمحبـون لله غايـة مقاصدهم من الخلـق أن يحبوا اللـه ويطيعوه، ويفـردوه بالعبوديـة والإلهيـة، فكيـف يزاحمونه في شـيء من ذلك؟ فهـو لا يريـد من الخلق جزاءً ولا شـكوراً، وإنما يرجـو ثواب عمله من اللـه، كمـا قال الله تعالـى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩ - ٨٠].

وقـال ﷺ : «**لا تطـروني كمـا أطـرت النصـارى المسيـح ابن مريـم، فإنمـا أنا عـبد، فقولوا: عبدالله ورسوله**».

وكان رسول الله ﷺ ينكر على من لا يتأدب معه في الخطاب بهذا الأدب، كما قال: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، بل قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد**».

وقال لمن قال: ما شاء الله وشئت: «**أجعلتني لله نداً؟! بل ما شاء الله وحده**».

فمن هنا كان خلفاء الرسل وأتباعهم من أمراء العدل وقضاتهم لا يدعون إلى تعظيم نفوسهم البتة؛ بل إلى تعظيم الله وحده وإفراده بالعبودية والإلهية، ومنهم من كان لا يريد الولاية إلا للاستعانة بها على الدعوة إلى الله وحده.

وكان بعض الصالحين يتولى القضاء ويقول: (إنما أتولاه لأستعين به على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

ولهـذا كانـت الرسـل وأتباعهم يصبـرون على الأذى فـي الدعوة إلـى الله، ويتحملـون في تنفيذ أوامـر الله من الخلق غاية المشـقة وهم صابرون، بل راضون بذلك، فإن المحب ربما يتلذذ بما يصيبه من الأذى فـي رضـى محبوبه، كما كان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما يقـول لأبيـه في خلافتـه إذا حـرص على تنفيـذ الحق وإقامة العـدل: (يا أبت! لَودِدّتُ أنه غلت بي وبك القدور في الله عز وجل).

وقال بعض الصالحين: (وددت أن جسـمي قـرض بالمقاريض وأن هـذا الخلـق كلهـم أطاعـوا الله عـز وجل). فعُـرض قولـه على بعض العارفـين فقال: (إن كان أراد بذلك النصيحـة للخلق وإلا فلا أدري). ثم غشي عليه.

ومعنى هذا أن صاحب هذا القول قد يكون لحظ نصح الخلق والشفقة عليهم من عذاب الله وأحب أن يفديهم من عذاب الله بأذى نفسه، وقد يكون لحظ جلال الله وعظمته وما يستحقه من الإجلال والإكرام والطاعة والمحبة، فود أن الخلق قاموا بذلك وإن حصل له في نفسه غاية الضرر، وهذا هو مشهد خواص المحبين والعارفين بملاحظته فغشي على هذا الرجل العارف.

وقد وصف الله -تعالى- في كتابه، المحبين له بأنهم ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾ [المائدة:٥٤].

وفي ذلك يقول بعضهم:

أجد الملامة في هواك لذيذة
حباً لذكراك فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ

القسم الثاني:

طلب الشـرف والعلو على الناس بالأمـور الدينية كالعلم والعمل والزهد.

فهـذا أفحـش من الأول وأقبح، وأشـد فسـاداً وخطراً؛ فـإن العلم والعمـل والزهد إنما يطلب بها ما عند الله من الدرجات العلى والنعيم المقيم والقرب منه والزلفى لديه.

قـال الثـوري: (إنما فضل العلـم لأنه يتقى به الله، وإلا كان كسـائر الأشياء).

فإذا طلب بشيء من هذا عرض الدنيا الفاني فهو أيضًا نوعان:

أحدهما: أن يطلب به المال، فهذا من نوع الحرص على المال وطلبه بالأسباب المحرمة.

وفي هذا جاء الحديث عن النبي ﷺ : «**من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**» يعني: ريحها.

خرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ .

وسـبب هـذا - والله أعلم - أن في الدنيا جنـة معجلة وهي معرفة اللـه ومحبتـه والأنس به والشـوق إلى لقائه وخشـيته وطاعته، والعلم النافع يدل على ذلك، فمن دله علمه على دخوله هذه الجنة المعجلة في الدنيا دخل الجنة في الآخرة، ومن لم يشم رائحتها لم يشم رائحة الجنة في الآخرة.

ولهذا كان أشـد الناس عذابًا في الآخرة عالم لم ينفعه الله بعلمه، وهو من أشـد الناس حسـرة يوم القيامة، حيث كان معه آلة يتوصل بها إلى أعلـى الدرجات وأرفـع المقامات، فلم يسـتعملها إلا في التوصل إلـى أخسّ الأمور وأدناها وأحقرها، فهو كمن كان معه جواهر نفيسـة لها قيمة فباعها ببعرة أو شيء مستقذر لا ينتفع به، فهذا حال من يطلب الدنيـا بعلمه وأقبح، وأقبح من ذلك من يطلبها بإظهار الزهد فيها، فإن ذلك خداع قبيحٌ جدًا.

وكان أبـو سـليمان الداراني يعيب علـى من لبس عبـاءة وفي قلبه شهوة من شهوات الدنيا تساوي أكثر من قيمة العباءة.

يشـير إلـى أن إظهار الزهد في الدنيا باللبـاس الدني إنما يصلح لمن فرغ قلبهُ من التعلق بها، بحيث لا يتعلق قلبه بها بأكثر من قيمة ما لبسه في الظاهر، حتى يستوي ظاهره وباطنه في الفراغ من الدنيا.

ومـا أحسـن قول بعـض العارفين وقد سـئل عـن الصوفـي فقال: الصوفي:

من لبس الصوف على الصفا وسـلك طريـق المصطـفى
وذاق الهـوى بعـد الجـفا وكانت الدنيا منه خلف القفا

النوع الثاني: من يطلب بالعمل والعلم والزهد الرئاسة على الخلق والتعاظم عليهم، وأن ينقاد الخلق ويخضعوا له ويَصْرِفوا وجوههم إليه، وأن يظهر للناس زيادة علمه على العلماء لِيَعْلُوَ به عليهم ونحو ذلك.

فهذا موعده النار، لأن قصد التكبر على الخلق في نفسه محرم، فإذا استعمل فيه آلة الآخرة كان أقبح وأفحش من أن يستعمل فيه آلات الدنيا من المال والسلطان.

وفي السنن عن النبي ﷺ قال: «**من طلب العلم ليماري به السفهاء أو يجاري به العلماء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار**».

خرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

وخرجـه ابن ماجه من حديث ابن عمر وحذيفة f ، وعنده: «**فهو في النار**».

وخـرج ابـن ماجه وابن حبـان في صحيحه مـن حديث جابر رضي الله عنه عـن النبي ﷺ قال: «**لا تعلموا العلـم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء، ولا لتخيّروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار**».

وخرجه ابن عدي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ بنحوه، وزاد فيه: «**ولكن تعلموه لوجه الله والدار الآخرة**».

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (لا تعلموا العلم لثلاث: لتماروا به السفهاء، أو لتجادلوا به الفقهاء، أو لتصرفوا به وجوه الناس إليكم، وابتغوا بقولكم وفعلكم ما عند الله، فإنه يبقى ويفنى ما سواه).

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة..**» منهم العالم الذي قرأ القرآن ليقال: قارئ، وتعلم العلم ليقال: عالم، وأنه يقال له: قد قيل ذلك، وأمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.. وذكر مثل ذلك في المتصدق ليقال: إنه جواد، وفي المجاهد ليقال: إنه شجاع.

وعـن علـي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (يا حملة العلم، اعملوا بـه، فإنما العالـم من عمـل بما علـم فوافق عملـه علمه، وسـيكون أقوام يحملـون العلم لا يجاوز تراقيهم، يخالف عملهم علمهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم، يجلسـون حلقًا حلقًـا فيباهي بعضهم بعضًا، حتـى إن الرجل ليغضب على جليسـه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل).

وقال الحسن: (لا يكون حظ أحدكم من علمه أن يقال: عالم).

وفي بعض الآثار أن عيسى عليه السلام قال: (كيف يكون من أهل العلم من يطلب العلم ليحدِّث به ولا يطلبه ليعمل به؟!).

وقال بعض السلف: (بلغنا أن الذي يطلب الأحاديث ليحدث بها لا يجد ريح الجنة). يعني من ليس له غرض في طلبها إلا ليحدث بها دون العمل بها.

ومن هذا القبيل كراهة السلف الصالح الجرأة على الفتيا والحرص عليها والمنازعة إليها والإكثار منها.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وروى ابن لهيعة عن عبيد الله بن أبي جعفر مرسلاً عن النبي ﷺ قال: «**أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار**».

وقال علقمة: (كانوا يقولون: أجرؤكم على الفتيا أقلكم علماً).

وعن البراء قال: (أدركت مائة وعشرين من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يُسأل أحدهم عن المسألة ما منهم من أحد إلا ودَّ أنَّ أخاه كفاه).

وفي رواية: (فَيَرُدَّها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى يرجع إلى الأول).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون).

وسئل عمر بن عبد العزيز عن مسألة فقال: (ما أنا على الفتيا بجريء).

وكتب إلى بعض عماله: (إني والله ما أنا بحريص على الفتيا وما وجدت منها بداً، وليس هذا الأمر لمن ودَّ أن الناس احتاجوا إليه، إنما هذا الأمر لمن ودَّ أنه وجد من يكفيه).

وعنه أنه قال: (أعلم الناس بالفتوى أسكتهم، وأجهلهم بها أنطقهم).

وقال سفيان الثوري رحمة الله عليه:(أدركنا الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا حتى لا يجدوا بدًا من أن يفتوا، وإذا أعفوا منها كان أحب إليهم).

وقال الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (من عرّض نفسه للفتيا فقد عرّضها لأمر عظيم، إلا أنه قد تلجئ الضرورة.

قيل له: فأيما أفضل؟ الكلام أو السكوت؟

قال: الإمساك أحب إليَّ.

قيل له: فإذا كانت الضرورة؟

فجعل يقول: الضرورة الضرورة! وقال: الإمساك أسلم له).

وليعلم المفتي أنه يُوَقِّع عن الله أمره ونهيه، وأنه موقوف ومسؤول عن ذلك.

قال الربيع بن خثيم: (أيها المفتون! انظروا كيف تفتون).

وقال عمرو بن دينار لقتادة لما جلس للفتيا: (تدري في أي عمل وقعت؟ وقعت بين الله وبين عباده وقُلتَ: هذا يصلح وهذا لا يصلح).

وعن ابن المنكدر قال: (إن العالم داخل بين الله وبين خلقه، فلينظر كيف يدخل عليهم).

وكان ابن سيرين إذا سئل عن الشيء من الحلال والحرام تغير لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذي كان.

وكان النخعي يُسأل فتظهر عليه الكراهة ويقول: (ما وجدت أحدًا تسـأله غيري؟). وقال: (قد تكلمت ولو وجـدت بدًا ما تكلمت، وإن زماناً أكون فيه فقيه أهل الكوفة لزمان سوء).

وروي عن ابن عمر قال: (إنكم لتستفتوننا استفتاء قوم كأنا لا نُسأل عما نفتيكم به).

وعن محمد بن واسع قال: (أول من يدعى إلى الحساب الفقهاء).

وعـن مـالـك أنـه كان إذا سـئل عن المسـألـة كأنـه واقـف بين الجـنة والنار.

وقال بعض العلماء لبعض المفتين: (إذا سئلت عن المسألة فلا يكن همك تخليص السائل، ولكن تخليص نفسك أولاً).

وقال لآخر: (إذا سئلت عن مسألة فتفكر؛ فإن وجدت لنفسك مخرجًا فتكلم وإلا فاسكت).

وكلام السلف في هذا كثير جداً يطول ذكره واستقصاؤه.

ومن هذا الباب أيضاً كراهة الدخول على الملوك والدنو منهم، وهو الباب الذي يدخل منه علماء الدنيا إلى نيل الشرف والرئاسات فيها.

وخرَّج الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي من حديث ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن**».

وخرَّج أحمد، وأبو داود نحوه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ وفي حديثه: « **وما ازداد أحد من السلطان دُنُواً إلا ازداد من الله بُعداً** ».

وخرَّج ابن ماجه من حديث ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**إن أناساً من أمتي سيتفقهون في الدين ويقرؤون القرآن ويقولون: نأتي الأمراء فنصيب من دنياهم ونعتزلهم بديننا ألا ولا يكون ذلك إلا كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك، كذلك لا يجتنى من قربهم إلا الخطايا**».

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وخرَّجه الطبراني ولفظه: «**إن أناسًا من أمتي يقرؤون القرآن ويتعمقون في الدين يأتيهم الشيطان يقول: لو أتيتم الملوك فأصبتم من دنياهم واعتزلتموهم بدينكم، ألا ولا يكون ذلك، كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك كذلك لا يجتنى من قربهم إلا الخطايا**».

وخرَّج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **تعوذوا بالله من جُبِّ الحزن** ».. قالوا: وما جب الحزن؟!.. قال: «**وادٍ في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة**».. قيل: يا رسول الله! من يدخله؟ قال: «**القراء المراءون بأعمالهم**».

وخـرَّج ابن ماجـه نحوه وزاد فيه: «**وإن من أبغـض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء الجورة**».

ويروى من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ نحوه.

ومن أعظم ما يخشى على من دخل على الملوك الظلمة أن يصدقهم بكذبهم ويعينهم على ظلمهم ولو بسكوت عن الإنكار عليهم، فإن من يريد بدخوله عليهم الشـرف والرياسة -وهو حريص عليهم- لا يُقْدِم علـى الإنـكار عليهم، بل ربما حَسَّـنَ لهم بعض أفعالهـم القبيحة تقرباً إليهم لِيُحَسِّن موقعه عندهم ويساعدوه على غرضه.

وقد خرَّج الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن حبان في صحيحه من حديث كعب بن عجرة، عن النبي ﷺ قال: «**سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، وليس بواردٍ عليَّ الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم، فهو مني وأنا منه وهو وارد عليَّ الحوض**».

وخرَّج الإمام أحمد معنى هذا الحديث من حديث حذيفة، وابن عمر، وخباب بن الأرت وأبي سعيد الخدري والنعمان بن بشير f .

وقد كان كثير من السلف ينهون عن الدخول على الملوك لمن أراد أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر أيضًا.

وممن نهى عن ذلك: عمر بن عبد العزيز وابن المبارك والثوري وغيرهم من الأئمة.

وقال ابن المبارك: (ليس الآمر الناهي عندنا من دخل عليهم فأَمَرَهُم ونَهَاهُم، إنما الآمر الناهي من اعتزلهم).

وسبب هذا ما يخشى من فتنة الدخول عليهم؛ فإن النفس قد تخيل للإنسان إذا كان بعيداً عنهم أنه يأمرهم وينهاهم ويُغلظ عليهم، فإذا شاهدهم قريباً مالت النفس إليهم، لأن محبة الشرف كامنة في النفس، والنفس تُحسِّن له ذلك ومداهنتهم وملاطفتهم، وربما مال إليهم وأحبهم، ولا سيما إنْ لاطفوه وأكرموه وقَبِلَ ذلك منهم، وقد جرى ذلك لعبدالله بن طاوس مع بعض الأمراء بحضرة أبيه طاوس فوبخه طاوس على فعله ذلك.

وكتب سفيان الثوري إلى عبَّاد بن عبَّاد، وكان في كتابه:

(إيـاك والأمراء أن تدنوا منهم أو تخالطهم في شـيء من الأشـياء، وإيـاك أن تُخـدع ويقال لك: لتشـفع وتَدْرَأ عن مظلـوم أو تَرُدَّ مظلمة؛ فإن ذلك خديعة إبليس، وإنما اتخذها فُجَّار القراء سُلماً، وما كفيت من المسألة والفتيا فاغتنم ذلك ولا تنافسهم، وإياك أن تكون كمن يحبّ أن يُعمل بقوله أو يُنشـر قوله أو يُسـمع قوله، فإذا ترك ذلك منه عرف فيه، وإيـاك وحبّ الرئاسـة، فـإنّ الرجل يكون حبّ الرئاسـة أحب إليه من الذهـب والفضـة، وهو باب غامـض لا يبصره إلا البصيـر من العلماء السماسـرة، فتفقد بقلـب واعمل بنية، واعلم أنه قد دنـا من الناس أمر يشتهي الرجل أن يموت، والسلام).

ومن هذا الباب أيضاً كراهة أن يشهر الإنسان نفسه للناس بالعلم والزهد والدين، أو بإظهار الأعمال والأقوال والكرامات حتى يُزار وتلتمس بركته ودعاؤه، وتقبل يده، وهو محب لذلك ويقيم عليه ويفرح به ويسعى في أسبابه.

ومن هنا كان السلف الصالح يكرهون الشهرة غاية الكراهة، منهم أيوب والنخعي وسفيان، وأحمد وغيرهم من العلماء الربانيين، وكذلك الفضيل وداود الطائي وغيرهما من الزهاد والعارفين، وكانوا يذمون أنفسهم غاية الذم ويسترون أعمالهم غاية الستر.

دخـل رجل على داود الطائي فسـأله: (ما جـاء به؟ فقال: أحب أن أزورك.

فقال: أمّا أنت فقد أصبت خيراً حيث زرت في الله، ولكن أنا أنظر مـاذا لقيـت غدًا إذا قيل لـي: من أنت حتـى تزار؟ من الزهـاد أنت؟ لا والله. من العُباد أنت؟ لا والله. من الصالحين؟ لا والله.. وعدد خصال الخيـر على هذا الوجه، ثم جعل يوبخ نفسـه، ويقول: يا داود! كنت في الشبيبة فاسقاً، فلما شبت صرت مرائياً)، والمرائي شر من الفاسق.

وكان محمد بن واسع يقول: (لو أن للذنوب رائحة ما استطاع أحد أن يجالسني).

وكان إبراهيم النخعي إذا دخل عليه أحد وهو يقرأ في المصحف غطاه.

وكان أويس وغيره من الزهاد إذا عُرِفوا في مكان ارتحلوا منه.

وكان كثير من السلف يكـره أن يطلب منه الدعاء، ويقول لمن يسأله الدعاء: (أَمِنِّي أنا؟!).

وممـن روي عنه ذلك عمر بن الخطاب وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، وكذلك مالك بن دينار.

وكان النخعي يكره أن يسأل الدعاء.

وكتب رجل إلى أحمد يسـأله الدعاء فقال أحمد: (إذا دعونا نحن لهذا، فمن يدعوا لنا؟!).

وَوُصِفَ بعض الصالحين واجتهاده في العبادة لبعض الملوك فعزم على زيارته، فبلغه ذلك فجلس على قارعة الطريق يأكل، فوافاه الملك وهو على تلك الحالة، فسلم عليه فرد عليه السلام، وجعل يأكل أكلاً كثيراً ولا يلتفت إلى الملك، فقال الملك: (ما في هذا خير، ورجع. فقال الرجل: الحمد لله الذي رد هذا عني وهو لائم).

وهذا باب واسع جداً.

وها هنا نكتة دقيقة، وهي أن الإنسـان قد يذم نفسـه بين الناس يريد بذلـك أن يُـرِيَ النـاس أنه متواضـع عند نفسـه فيرتفع بذلـك عندهم ويمدحونـه بـه. وهذا مـن دقائق أبـواب الرياء، وقـد نبه عليه السـلف الصالح.

قال مطرف بن عبد الله بن الشـخير: (كفى بالنفس إطراء أن تذمها على الملأ، كأنك تريد بذمها زينتها، وذلك عند الله سفه).

فصـــــــــل

وقد تبين بما ذكرناه أن حب المال والرياسة والحرص عليهما يفسد دين المرء حتى لا يبقى منه إلا ما شاء الله، كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

وأصل محبة المال والشرف من حب الدنيا، وأصل حب الدنيا اتباع الهوى.

قال وهب بن منبه: (مِن اتباع الهوى الرغبة في الدنيا، ومن الرغبة فيها حب المال والشرف، ومِن حب المال والشرف استحلال المحارم).

وهذا كلام حسن؛ فإنه إنما عتب على صاحب المال والشرف الرغبة في الدنيا، وإنما تحصل الرغبة في الدنيا من اتباع الهوى؛ لأن الهوى داعٍ إلى الرغبة في الدنيا وحب المال والشـرف فيها، والتقوى تمنع من اتباع الهوى وتردع عن حب الدنيا.

قـال اللـه تعالـى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

وقـد وصف اللـه تعالى أهل النار بالمال والسـلطان في مواضع من كتابـه، فقـال تعالـى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٩].

واعلم أن النفس تحب الرفعة والعلو على أبناء جنسها، ومن هنا نشأ الكبر والحسد، ولكن العاقل ينافس في العلو الدائم الباقي الذي فيه رضوان الله وقربه وجواره، ويرغب عن العلو الفاني الزائل، الذي يعقبه غضب الله وسخطه، وانحطاط العبد وسفوله وبعده عن الله وطرده عنه، فهذا العلو الفاني الذي يذم، وهو العتو والتكبر في الأرض بغير الحق.

وأما العلو الأول والحرص عليه فهو محمود.

قال الله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وقال الحسن: (إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة).

وقال وهيب بن الورد: (إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل).

وقال محمد بن يوسف الأصبهاني العابد: (لو أن رجلاً سمع برجل أو عرف رجلاً أطوع لله منه فانصدع قلبه لم يكن ذلك بعجب).

وقال رجل لمالك بن دينار: (رأيتُ في المنام منادياً ينادي: أيها الناس الرحيل، الرحيل، فما رأيتُ أحداً ارتحل إلا محمد بن واسع، فصاح مالك وغشي عليه).

ففـي درجـات الآخـرة الباقيـة يشـرع التنافـس وطلـب العلـو في منازلها، والحرص على ذلك بالسـعي في أسـبابه، وأن لا يقنع الإنسان منها بالدون مع قدرته على العلو.

وأمـا العلو الفانـي المنقطع الذي يعقب صاحبه غدًا حسـرة وندامة وذلة وهواناً وصغاراً، فهو الذي يشرع الزهد فيه والإعراض عنه.

وللزهد فيه أسباب عديدة:

فمنها: نظر العبد إلى سوء عاقبة الشرف في الدنيا بالولاية والإمارة لمن لا يؤدي حقها في الآخرة.

ومنها: نظر العبد إلى عقوبة الظالمين والمكذبين، ومن ينازع الله رداء الكبرياء.

وفي «السنن» عن النبي ﷺ قال: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يقال له: بولس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار: طينة الخبال**». وخرجه الترمذي وغيره من حديث عمرو ابن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ.

وفـي روايـة لغيره من وجه آخـر في هذا الحديـث: «**يطؤهم الناس بأقدامهم**».

وفـي رواية أخرى من وجه آخر: «**يطؤهـم الجن والإنس والدواب بأرجلهم حتى يقضي الله بين عباده**».

واسـتأذن رجل عمر رضي الله عنه في القصص علـى الناس فقال له: (إني أخاف أن تقص عليهم فتترفع عليهم في نفسك حتى يضعك الله تحت أرجلهم يوم القيامة).

ومنهـا نظر العبد إلـى ثواب المتواضعـين لله في الدنيـا بالرفعة في الآخرة؛ فإنه مَنْ تواضع لله رفعه.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ومنها - وليس هو في قدرة العبد، ولكنه من فضل الله ورحمته-: ما يعوض الله عباده العارفين به، الزاهدين فيما يفنى من المال والشرف، مما يُعَجِّلَه الله لهم في الدنيا من شرف التقوى وهيبة الخلق لهم في الظاهر، ومن حلاوة المعرفة والإيمان والطاعة في الباطن.

وهي الحياة الطيبة التي وعدها الله لمن عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، وهذه الحياة الطيبة لم يذقها الملوك في الدنيا ولا أهل الرئاسات والحرص على الشرف، كما قال إبراهيم بن أدهم: (لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف).

ومن رزقه الله ذلك اشتغل به عن طلب الشرف الزائل والرياسة الفانية، قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

وفي بعض الآثار: يقول الله عز وجل: «**أنا العزيز؛ فمن أراد العز فليطع العزيز، ومن أراد عز الدنيا والآخرة وشرفهما فعليه بالتقوى**».

وكان حجاج بن أرطاة يقول: (قتلني حب الشرف. فقال له سوّار: لو اتقيت الله شرفت).

وفي هذا المعنى يقول القائل:

ألا إنما التقـوى هي العـز والكـرم
وحبـك للدنيـا هو الذل والسقـم
ولـيس على عبـد تقـي نقيـصة
إذا حـقق التقوى وإن حاك أو حجم

قـال صالـح الناجـي: (الطاعة إمْـرَة، والمطيـع لله أميـر مؤمَّر على الأمـراء، ألا ترى هيبته في صدورهـم؟ إن قال قبلوا، وإن أمر أطاعوا، ... ثم يقول: يحق لمن أحسن خدمتك ومننت عليه بمحبتك أن تذلل له الجبابرة حتى يهابوه لهيبته في صدورهم من هيبتك في قلبه، وكل الخير من عندك بأوليائك).

وقال بعض السلف الصالح: (من أسعد بالطاعة من مطيع؟ ألا وكل الخير في الطاعة، ألا وإن المطيع لله ملك في الدنيا والآخرة).

قال ذو النون: (مَنْ أَكْرَمُ وَأَعَزُّ ممن انقطع إلى من ملك الأشياء بيده؟).

دخل محمد بن سليمان أمير البصرة على حماد بن سلمة وقعد بين يديه يسأله فقال له: (يا أبا سلمة، ما لي كلما نظرت إليك ارتعدت فرقًا منك؟ قال: لأن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله خافه كل شيء، وإن أراد أن يكثر به الكنوز خاف من كل شيء).

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ومن هذا قول بعضهم: (على قدر هيبتك لله يخافك الخلق، وعلى قدر محبتك لله يحبك الخلق، وعلى قدر اشتغالك بالله تشتغل الخلق بأشغالك).

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوماً يمشي ووراءه قوم من كبار المهاجرين، فالتفت فرآهم فخروا على ركبهم هيبة له، فبكى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال:(اللهم إنك تعلم أني أخوف لك منهم؛ فاغفر لي).

وكان العمري الزاهد قد خرج إلى الكوفة إلى الرشيد ليعظه وينهاه، فوقع الرعب في عسكر الرشيد لما سمعوا بنزوله، حتى لو نزل بهم عدو مائة ألف نفس لما زادوا على ذلك.

وكان الحسن لا يستطيع أحد أن يسأله هيبة له، وكان خواص أصحابه يجتمعون ويطلب بعضهم من بعض أن يسألوه عن المسألة، فإذا حضروا مجلسه لم يجسروا على سؤاله، حتى ربما مكثوا على ذلك سنة كاملة هيبة له.

وكذلك كان مالك بن أنس يُهاب أن يُسأل حتى قال فيه القائل شعراً:

يدع الجواب ولا يُراجع هيبة
والسائلون نواكس الأذقان
نور الوقار وعز سلطان التقى
فهو المهيب وليس ذا سلطان

وكان بديل العقيلي يقول: (من أراد بعلمه وجه الله تعالى أقبل الله عليـه بوجهه وأقبل بقلوب العباد عليه، ومن عمل لغير الله صرف الله وجهه عنه وصرف قلوب العباد عنه).

وقال محمد بن واسع: (إذا أقبل العبد بقلبه على الله أقبل الله إليه بقلوب المؤمنين).

وقال أبو يزيد البسطامي: (طلقت الدنيا ثلاثًا بتاتاً لا رجعة لي فيها، وصرت إلى ربي وحدي وناديته بالاستعانة: إلهي، أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك. فلما عرف صدق الدعاء من قلبي واليأس من نفسي، كان أول ما ورد علي من إجابة هذا الدعاء أن أنساني نفسي بالكلية، ونصب الخلائق بين يدي مع إعراضي عنهم).

وكان يزار من البلدان، فلما رأى ازدحام الناس عليه قال:

يا ليتني صرت شيئاً ... من غير شيء أعد
أصبحت للكل مولى ... لأنني لك عبد
لكن كتمان حالي ... أحق بي وأسد
وفي الفؤاد أمور ... ما تستطاع تعد

كتـب وهـب بن منبه إلى مكحـول: (أما بعد، فإنـك أصبت بظاهر علمك عند الناس شـرفاً ومنزلة، فاطلـب بباطن علمك عند الله منزلة وزلفى، واعلم أن إحدى المنزلتين تمنع من الأخرى).

ومعنى هذا أن العلم الظاهر من تعلم الشرائع والأحكام، والفتاوى والقصـص والوعـظ ونحـو ذلك مما يظهـر للناس يحصل بـه لصاحبه عندهم منزلة وشرف، والعلم الباطن المودع في القلوب من معرفة الله وخشـيته، ومحبته ومراقبته، والأنس به والشـوق إلـى لقائه، والتوكل عليه والرضى بقضائه، والإعـراض عن عرض الدنيا الفاني، والإقبال علـى جوهـر الآخرة الباقـي، كل هذا يوجـب لصاحبه عنـد الله منزلة وزلفى، وإحدى المنزلتين تمنع من الأخرى.

فمن وقف مع منزلته عند الخلق، واشتغل بما حصل له عندهم بالعلم الظاهر من شرف الدنيا، وكان همه حفظ هذه المنزلة عند الخلق ومُدَاراتها وتربيتها والخوف من زوالها كان ذلك حظه من الله تعالى وانقطع به عنه، فهو كما قال بعضهم: (ويل لمن كان حظه من الله الدنيا).

وكان السري السقطي يعجب مِمَّا يرى من علم الجنيد وحسن خطابه وسرعة جوابه فقال له يوماً - وقد سأله عن مسألة فأجاب وأصاب -:(أخشى أن يكون حظك من الدنيا لسانك). فكان الجنيد لا يزال يبكي من هذه الكلمة.

ومن اشتغل بتربية منزلته عند الله بما ذكرنا من العلم الباطن وصل إلى الله، فاشتغل به عمّا سواه، وكان له في ذلك شغل عن طلب المنزلة عنـد الخلق، ومع هذا، فإن الله يعطيه المنزلة في قلوب الخلق والشـرف عندهم، وإن كان لا يريد ذلك ولا يقف معه؛ بل يهرب منه أشد الهرب ويفر أشد الفرار؛ خشية أن يقطعه الخلق عن الحق جل جلاله.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦]. أي في قلوب عباده.

وفـي الحديـث: «**إن الله إذا أحب عبدًا نادى: يـا جبريل، إني أحب فلانـاً. فيحبـه جبريل، ثـم يحبه أهل السـماء، ثم يوضع لـه القبول في الأرض**»، والحديث معروف وهو مخرج في الصحيح.

وبكل حال؛ فطلب الآخرة يحصل معه شـرف الدنيا، وإن لم يرده صاحبه ولم يطلبه، وطلب شـرف الدنيا يمنع شرف الآخرة ولا يجتمع معه، والسـعيد مـن آثر الباقي على الفاني، كما في حديث أبي موسـى رضي الله عنه، عـن النبـي صلى الله عليه وسلم أنه قـال: «**من أحـب دنيـاه أضـر بآخـرته، ومن أحب آخرته أضر بدنيـاه، فآثروا ما يبقـى على ما يفنى**». خرجه الإمام أحمد وغيره.

وما أحسن ما قال أبو الفتح البستي الشاعر:

أمـــران مفترقـــان لست تراهـــما
يتشـــوقـان لخلـــطة وتلاقـــي
طلـــب المعاد مع الرياسة والعـــلى
فـــدع الذي يفـــنى لما هـــو باقـــي

تم الكـــلام علـى شـرح الحـديـث، والحمـد لله علـى كل حال، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

فهرس الموضوعات

تقديم الشيخ سالم الطويل ٧
كتاب الحج من بلوغ المرام ٩
باب فضله، وبيان من فرض عليه ١١
باب المواقيت ٢٢
باب وجوه الإحرام وصفته ٢٥
باب الإحرام وما يتعلق به ٢٦
باب صفة الحج، ودخول مكة ٣٤
باب الفوات والإحصار ٦٠
رسالة في ذم التعصب لشيخ الإسلام ابن تيمية ٦٣
ترجمة الشيخ أ. د. سليمان الرحيلي ٦٥
نَصُّ السؤال الموجه لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٣
جواب شيخ الإسلام ٧٧
أصول السنة للإمام أحمد بن جنبل ١٤٣
ترجمة موجزة للإمام أحمد ١٤٥
السيرة الذاتية للشيخ أ.د. صالح السحيمي ١٥٣
بداية رسالة أصول السنة ١٥٧
شرح حديث « ما ذئبان جائعان» ١٩٧
ترجمة موجزة للحافظ ابن رجب ١٩٩
بداية الرسالة ٢٠٧

رقم الإيداع: ١٥٠/ ٢٠١٣

قال العلاّمة الشيخ أ. د. صالح بن فوزان الفوزان - حفظه الله - :

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

(... نحن لا نهمل قضايا المسلمين ، بل نهتم بها ونناصرهم ونحاول كف الأذى عنهم بكل وسيلة وليس من السهل علينا أنَّ المسلمين يقتلون ويشردون .

ولكن ليس الاهتمام بقضايا المسلمين أننا نبكي ونتباكى ، ونملأ الدنيا بالكلام والكتابة والصياح والعويل، فإن هذا لا يجدي شيئا .

لكن العلاج الصحيح لقضايا المسلمين :

أن نبحث أولا عن الأسباب التي أوجبت هذه العقوبات التي حلت بالمسلمين وسلطت عليهم عدوهم ... .

وأهم هذه الأسباب التي أوقعت بهم هذه العقوبات هو: **إهمالهم للتوحيد**، ووقوعهم في الشرك الأكبر، ولا يتناهون عنه ولا ينكرونه! من لا يفعله منهم فإنه لا ينكره؛ بل لا يعده شركًا.

فهذه أهم الأسباب التي أحلت بالمسلمين هذه العقوبات.

ولو أنهم تمسكوا بدينهم، وأقاموا توحيدهم وعقيدتهم على الكتاب والسنة، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولم يتفرقوا لَـمَـا حلَّ بهم ما حلَّ؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ فبين أنه لا يحصل النصر للمسلمين إلا بهذه الركائز التي ذكرها الله سبحانه وتعالى وهي: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأين هذه الأمور في واقع المسلمين اليوم؟ أين الصلاة عند كثير ممن يدَّعون الإسلام قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ ﴾ لكن أين الشرط لهذا الوعد؟ ﴿ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴾.

فبين أن هذا الاستخلاف وهذا التمكين لا يتحقق إلا بتحقق شرطه الذي ذكره، وهو عبادته وحده لا شريك له، وهذا هو التوحيد، فلا تحصل هذه الوعود الكريمة إلا لمن حقق التوحيد بعبادة الله وحده لا شريك له، وعبادة الله تدخل فيها الصلاة والصيام والزكاة والحج، وجميع الطاعات).

(دروس من القرآن الكريم) بتصرف